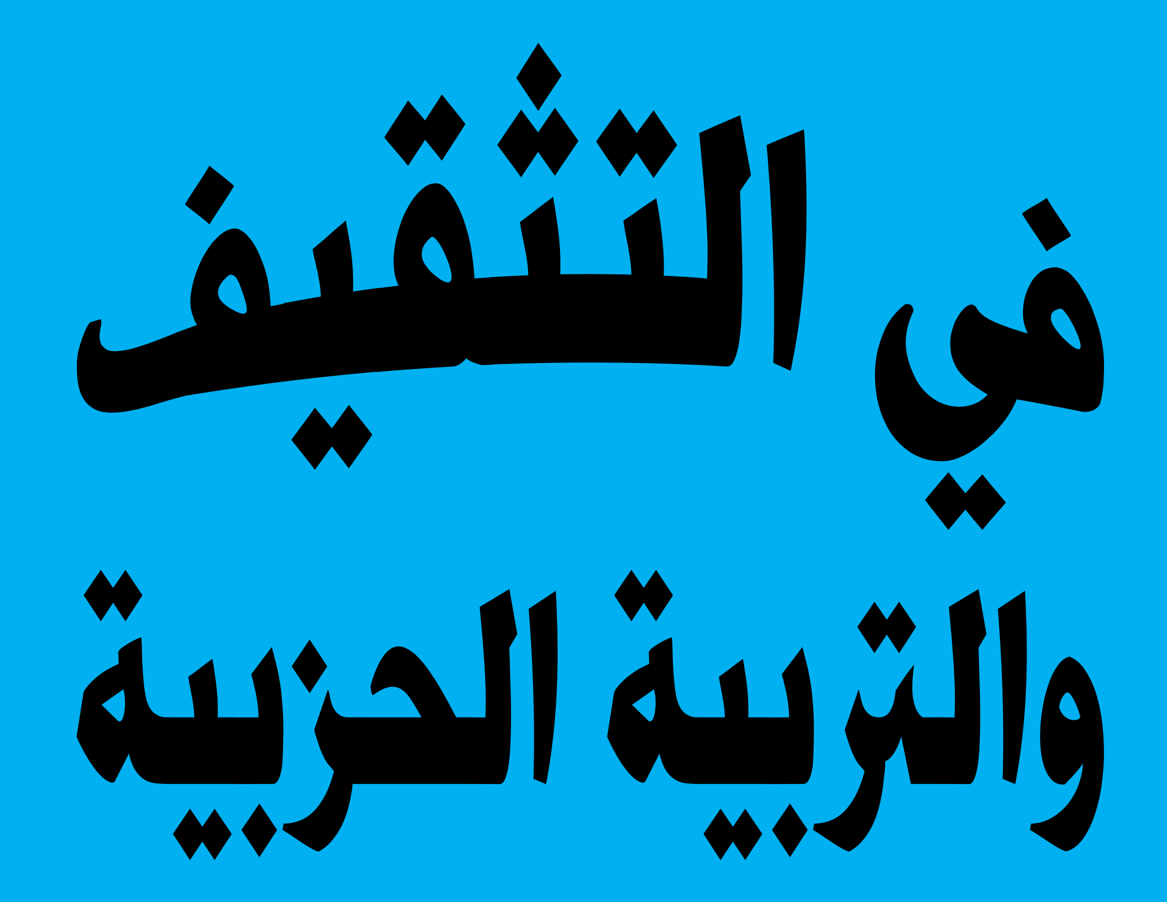
حزب البعث العربي الإشتراكي
القيادة القومية



وحدة حرية إشتراكية

أمة عربية واحدة
ذات رسالة خالدة



في التثقيف والتربية الحزبية



منشورات الطليعة
1987

في التثقيف والتربية الحزبية

ملاحظات حول الوضع الثقافي في الحزب [1]

لاحظ مكتب الثقافة والاعداد الحزبي خلال الفترة المنقضية ان الوضع الثقافي بحاجة لرصد مستمر للوقوف عند بعض الحوادث لمعرفة مدلولها وأثرها على التنظيم .

وعند مناقشة الوضع الثقافي وجد ان بين يديه مادة تراكمت اثناء العمل تستحق الدرس واستنتاج ملاحظات مهمة تصلح لان تكون فرصا للتوجيه وتصحيح الاخطاء .

وقرر المكتب ـ بعد المناقشة ـ انه قد استدل من الدراسة على ملاحظات جديرة بأن تطرح على الحزب في كل المستويات خصوصا القيادية منها ليصار الى تصحيحها كجزء من الخطة العامة للنهوض بمستوى الحزب في كل النواحي .

***

اولا ـ يبدو ان دور الثقافة في العمل الحزبي لا زال يكتنفه شيء من الغموض . فضعف المستوى الثقافي نتيجة لانعدام (او لضعف) التدريس المنظم للعقيدة يدل على اهمال وتقليل من دور الثقافة في العمل الحزبي الثوري .

فالملاحظ هو ان كثيراً من الاعضاء وحتى بعض القياديين منهم غير مطلع

---

١ ـ صدرت هذه النشرة عن المكتب الثقافي والاعداد الحزبي بالقطر اللبناني في شهر ايار عام ١٩٦٠ .

بشكل تام على العقيدة وغير محيط بأدبيات الحزب التي تشرح مواقفه ونظرته .

ويمكننا ارجاع اسباب هذا النقص في الاحاطة بعقيدة الحزب الى العوامل التالية :

١ ــ عدم وجود برنامج حزبي ثابت للتدريس المنظم للعقيدة في كل المستويات. فأعمال الحلقات ونشاطها ــ كما يبدو ــ لا يتضمن تدريس عقيدة الحزب بشكل متسلسل وحسب برنامج واضح الخطوات يجري بموجبه امرار الاعضاء الجدد بفترة دراسية من القراءة والمناقشة والشرح الشامل لعقيدة الحزب واستكمال الاحاطة بجميع جوانبها ، واستعمال كل فرصة لشرح المواقف السياسية والمشاكل التنظيمية على اساس العقيدة لترسيخها وتوضيح مدلولاتها العملية في السياسة والتنظيم . والنشاط الثقافي في المنظمات العليا لا يفوق ما هو موجود في الحلقات فحتى القيادات العليا لا يشكل النشاط الثقافي جزءا رئيسيا من نشاطها في حين ان عقيدة الحزب بحاجة للشرح والتوضيح المستمر والمناقشة في كل مناسبة سانحة لحفز النشاط ولربطه دوما بالعقيدة الامر الذي يشكل الضمانة الفكرية القوية لابقاء العمل السياسي والتنظيمي عقائديا سليما من الانحراف .

٢ ــ ضعف المبادرة والتتبع الثقافي عند الاعضاء ، اذ لو ان انعدام «التدريس المنظم» لعقيدة الحزب يقابله شيء من التتبع من قبل الاعضاء لتثقيف انفسهم والاطلاع على عقيدة الحزب لحصل شيء من التعديل الا ان ذلك ليس ما هو حاصل في حزبنا في الوقت الحاضر . فكثير من الاعضاء لا يزال يعتبر الثقافة الحزبية مجالا يختص به عدد قليل محدد من الاعضاء من ذوي الثقافة العامة . اي ان الثقافة الحزبية لا تزال ملازمة للثقافة العامة عند العضو ، فالعضو المثقف هو المطلع على عقيدة الحزب . في حين ان الثقافة الحزبية واجب اساسي وجزء مهم في تكوين العضو وشرط لا يمكن الاستغناء عنه في العضوية الحزبية . بعبارة اخرى يجب ان ننظر للثقافة الحزبية لا كهواية يختص بها البعض دون الآخر بل كأساس للنضال يجب ان يتوفر عند كل عضو بغض النظر عن ثقافته العامة .

فكل عضو مطالب بالدراسة الجدية لعقيدة الحزب وتتبع كتاباته والاحاطة التامة بتراثه وتحويل هذه الثقافة لنتائج توجه النشاط التنظيمي والسياسي .

ثانيا ــ وبجانب النقص في الثقافة العقائدية يوجد ميل متطرف مغرق في فهم دور الثقافة في العمل الحزبي . هناك ميل واضح للتأكيد الملحّ على البحوث والدراسات في كل شيء وبكل جانب من جوانب العمل . فكل قضية لا يمكن ان تعالج الا بإحصاءات وبحوث علمية ، وكل معضلة لا تحل الا بالدراسة وكل نقص في التنظيم سببه عدم وجود دراسات وكل تقصير في النضال السياسي مرجعه غموض القضية بسبب انعدام البحوث العلمية .. وهكذا ، حتى وكأن الحزب مؤسسة ابحاث لا تختلف فيها الثقافة عن الثقافة الجامعية المجردة . وأغلب الظن ان هذا الميل قد دخل حزبنا بفعل اتصاله بالاوساط الجامعية المثقفة حيث ينتقل المفهوم الجامعي للثقافة القائم على البحث المجرد لاجل الحقيقة والمعرفة لصفوف الحزب محدثا هذا الالتباس بين المفهوم الجامعي والمفهوم الثوري النضالي للثقافة.

فالثقافة الحزبية ليست لاجل المعرفة المجردة بل مرتبطة بالنضال ، مهمتها توضيح الطريق امام النضال الثوري الذي تقوم به المنظمة فترتبط بتطور القضية القومية وتماشي تقدمها .

ليس غرض الثقافة الحزبية ان تكشف أسرار الكون وتفهم الحياة بشكل عام شامل بل ان تكون محصورة في اغراضها ومباشرة في معالجة موضوعها فتتجه لتكوين معرفة صحيحة عن قضية الشعب العربي التي يناضل الحزب لتحقيقها بشكل مباشر يلازم النضال . فحزبنا لا يستطيع ـ في المرحلة الحاضرة ـ ان يدرس كل شؤون المجتمع العربي ولا يخوض في قضية الانسان والحياة والكون والطبيعة بشكل عام شامل يستهدف المعرفة المجردة بل لا بد من ان يحصر جهوده في القضايا الاساسية التي تتعلق بصورة مباشرة بنضاله لتحقيق المجتمع القومي الاشتراكي . اذن لا بد له من تصنيف القضايا المعدة للدرس حسب اهميتها من هذه الزاوية ولا بد من تحديد ما يتطلبه النضال في كل مرحلة من مراحل تطور القضية القومية . من الخطأ اعتبار كل المشاكل متساوية في أهميتها بالنسبة للحزب ، ففي المرحلة الاولى من حياة الحزب كان من الضروري ان نقوم بتوضيح معنى الوحدة العربية اما اليوم فقد اصبح توضيح الطريق لتحقيق تلك الوحدة هو المطلوب بعد التطورات التي حدثت في الآونة الاخيرة .

وثمة شيء يسترعي الانتباه هو ان هذا التأكيد الزائد على البحث والدراسة قد يخفي في بعض الاحيان شعورا بالعجز عن العمل والنشاط المباشر في مجالات النضال والتنظيم فيأتي التأكيد على الدراسات والشكوى من نقصها لتبرير ذلك العجز عن العمل والانجاز .

ثالثا ـ وفي الحزب ميول تجريدية في فهم العقيدة ذاتها ، فبعض الاعضاء يفهم عقيدة الحزب كمدرسة فكرية يجب ان تكون من الشمول والتفصيل بحيث تقدم الاجوبة على كل مشاكل الانسان والكون تماما كما هو الحال في المدرسة الفكرية ذات النظام الكامل لتفسير الكون والحياة . ان هذا الفهم الخاطىء لعقيدة الحزب هو الآخر وليد التأثر بالوسط المثقف ، ومما ساعد على تسربه لصفوفنا هو ضعف الرصد العقائدي والتوجيه الضروري لتوضيح دور الفكر في النضال ومعنى العقيدة لحزب ثوري يعمل لتغيير الواقع وتحقيق اهدافه . ليس الحزب مدرسة فلسفية همها التوصل للحقيقة وتكوين المعرفة المجردة عن كل شيء في الحياة والكون بل هو منظمة شعبية ثورية تريد تغيير الواقع العربي شطر التوحيد والاشتراكية والحرية . وما يهمها من المعرفة الان محصور في حدود هذه القضية ، ودور الفكر فيها مركز حول كل ما يتطلبه تحقيق هذ الاهداف بشكل مباشر . ان ظهور حزبنا يختلف عن ظهور اية مدرسة فلسفية في الدوافع والاهداف من جهة وفي الوسيلة من جهة اخرى .

فمثلا لا يهم حزبنا ان يكون له موقف فكري من قضية الكون والله بقدر ما يهمنا أن نحدد نظرتنا الاشتراكية مثلا . وكنتيجة لهذا الفهم الخاطىء للعقيدة والاصرار على كونها مدرسة فلسفية اخذ البعض يسعى جاهدا لجر عقيدة الحزب

للمقارنة والمقابلة بالمدارس الفلسفية المعروفة حتى وكأن عقيدة الحزب لا بد لها لكي تؤثر وتنجح في التحقيق من ان تكون فلسفة تامة توضع بجانب المدارس الفلسفية الاخرى . ان عقيدة الحزب لا يمكن ان تولد كاملة تامة بمعزل عن التطور العملي للقضية القومية بل هي ملازمة للقضية فتتسع وتنمو وتتكامل كلما تقدمت القضية القومية وناضل الحزب واحرز انتصارات جديدة واعتصر منها تجربة واستنتاجات فكرية تستوعبها العقيدة . علينا الا ننـدفع بفعل هذا الفهم الخاطىء للعقيدة لادخال تيارات غريبة لوسط الحزب . علينا ان نترك عقيدة الحزب تتطور مع النضال لا بمعزل عنه ، فنحتفظ باجتهاداتنا الشخصية لئلا نزج العقيدة في خضم الاختلافات الفلسفية القائمة بين المدارس المتباينة .

رابعا ـ ويسترعي الانتباه ايضا ان الفكر في العمل الحزبي كثيرا ما يبقى مجردا نظريا بدلا من ان ينعكس في العمل . لا زال البعض عندنا ينظر للثقافة نظرة مجردة فأهدافها لا تتعدى في الغالب مجرد توسيع الثقافة العامة للاعضاء وتزويدهم بمادة للمناقشة والجدل ، في حين ان الثقافة الحزبية يجب ان تكون عملية فتتحول فورا لتوجيه يقود النضال السياسي والنشاط التنظيمي. فالثقافة الصحيحة هي التي يستوعبها العمل فتصبح جزءا من السلوك ويتمثلها جسم الحزب .

نلاحظ مثلا ان الانتاج الفكري وما يصدر عن القيادات من توجيهات في النشرات الدورية وغيرها لا يزال أثرها ضعيفا في الحزب ولا تنعكس فورا في الخطط والعمل الحزبي العام بل يبقى ضعيف الاثر لا يتعدى مفعوله الاذهان .

خامسا ـ واخيرا نلاحظ ان الامكانيات الثقافية في الحزب غير منسّقة في خطة يشرف عليها الحزب ويوجهها لتوسيع فكرته واغنائها بدراسات جديدة . ويتضح نقص التخطيط الثقافي هذا على أشده في علاقة الحزب بأعضائه الجامعيين الذين يقومون بدراسات عليا ويتخصصون في العلوم الاجتماعية . فالواضح الان هو ان هؤلاء الاعضاء يقومون بجهود ثقافية في جامعاتهم كل حسب رغبته وما تمليه عليه ظروفه الخاصة ، خصوصا الدراسية منها ، دون ان يكون للحزب اي دور تخطيطي في توجيه الدراسات التي يقومون بها والمواضيع التي يختارونها الامر الذي ادى الى ضياع كثير من الجهود في مشاريع لا تخدم فكرة الحزب ولا تضيف لها شيئا . وقد حان الوقت لاعارة هذه القضية اهتماما جديدا لتعبئة الامكانيات الثقافية ضمن برنامج يضعه الحزب ـ اي مؤسساته الثقافية ـ يهدف في نهايته لاغناء تراث الحزب وتوسيع فكرته . ولتحقيق هذا التخطيط لا بد من انجاز خطوات اولية كإجراء احصاء دقيق للاعضاء الجامعيين وفروع دراستهم وتحقيق صلة وثيقة بينهم وبين الاجهزة الثقافية في الحزب والتوصل معهم لتنسيق الدراسات واختيار المواضيع حسب برنامج الحزب والاستفادة من البحوث بعد انتهائها .

(ايار ١٩٦٠)

اهمية الثقافة الحزبية [1]

لقد بقي حزبنا خلال مرحلة طويلة بعد تأسيسه يعرف بأنه (حزب المثقفين)، فقد كان خلال المرحلة الاولى من نشوئه يضم طليعة يشكل العمل التثقيفي مركز الثقل في برنامجها اليومي . فقد بدأ حزب البعث (فكرة) جمعت حولها نخبة من المثقفين الثوريين من أقطار عربية مختلفة وجدوا في فكرة البعث الصيغة المعبرة عن قضية الامة العربية تعبيرا أصيلا وعلى مستوى العصر .

لقد وضعت فكرة البعث حدا للقلق الفكري الـــذي كانت تعيشه الاجيال العربية ، لذلك بدأت أشبه بكلمة السر بالنسبة للتاريخ العربي المعاصر ، فلم تمض بضع سنوات على نشوء حزب البعث العربي الاشتراكي حتى وصلت فكرته الى سائر الاقطار العربية واستقطبت خيرة المثقفين والمناضلين .

كان الحزب خلال المرحلة الاولى هذه تجسيدا للفكرة ، فهو الاسرة العربية الجديدة التي تضم جيلا انفصل عن واقعه لكي يبدل هذا الواقع ولكي يحـــول التجزئة والسيطرة الاجنبية والاستغلال الطبقي الى وحدة وحرية واشتراكية .

وكان نضال الحزب خلال هذه الفترة يتجلى على مستويين : مستوى الفكـر والكفاح الفكري ومستوى النضال الشعبي والعملي اليومي . فالحزب خـــلال مراحل نشوئه الاولى كان يواجه صراعا فكريا ويصطدم بإيديولوجيات معاديـــة تحاول ان تنقض على فكرة وحدة الامة العربية او تحاول ان تنقض على الفكرة الاشتراكية فكان على الجيل العربي الاشتراكي الجديد ان يتزود بالسلاح الذي تتطلبه هذه المعركة الفكرية فكانت الثقافة الحزبية هي السلاح الاساسي .

اما على مستوى النضال الشعبي اليومي فقد كان ربط السلوك الفـــردي والجماعي بالقيم الثورية التي تتطلبها الفكرة هو مركز الثقل في العمل الحزبي . لذلك استطاع كفاح الحزب الفكري ان يخلق ايديولوجية جديـــدة واستطاعت مؤتمراته القومية وعلى نحو خاص المؤتمر القومي السادس بمنطلقاته النظريـــة والمؤتمر القومي الثامن ان يطور هذه الايديولوجية ويعمقها وأن يوضح الصلة بين الصراع القومي والصراع الطبقي. كما تمكن نضاله الشعبي العملي اليومي ان يحقق الصلة بين الجماهير الشعبية وبين فكرته وأن يدخل الجماهير، بل حتى السياسية اليومية العربية ، في تفاعل دائم مع شعارات الوحدة والحريـــة والاشتراكية ، وأن يرفع مستوى الوعي لدى هذه الجماهير . فكانت حصيلة هذا النضال ان اصبح الحزب يقوم على المثقفين الثوريين والعمال والفلاحين والطلاب والجنود . فتضاعفت بسبب ذلك مهمته الثقافية ، لان مهمة حزبنا الاولى هي في أن يكون الاداة المسؤولة عن تحويل هذه العناصر الثورية العاملة الى جيل عقائدي يكون في

---

١ ـ نشرة المكتب الثقافي القومي ، ١٥ حزيران ١٩٦٥ .

مستوى تفكيره وسلوكه قادرا على حمل رسالة الامة العربية التاريخية ، اي قادرا على حمل فكرته .

معنى الثقافة الحزبية :

ان الثقافة الحزبية لا تعني الثقافة العامة وحدها . فالمثقف مهما تقدم في الدرجات العلمية قد يبقى أميا من الناحية الحزبية اذا لم يدخل الى حياة الحزب ويحيا هذه الحياة من الداخل اي من خلال المعاناة اليومية للمشاكل السياسية والتنظيمية والعقائدية والعمل الشعبي . انه يبقى متخلفا عن فكر الحزب اذا لم يقرأ كل تراثه ويعي كل مراحل تاريخ نشوئه ويطلع على التيارات الفكرية التي تحيط به .

ثم ان الثقافة الحزبية لا تعني مجرد القراءة والحفظ وترديد الشعارات ، لانها حصيلة للموقف النضالي الثوري الذي يرافق حياة الحزبي سواء على مستوى الفكر او مستوى النضال العملي . انها ثمرة لإقتران الفكر بالعمل الثوري . إن الثقافة السياسية والثقافة التنظيمية والثقافة الشعبية والثقافة النظرية ، انما هي وجوه متعددة لا تأخذ شكلها العقائدي الا اذا ارتبطت بحياة نضالية يومية .

وقد يصل العامل الحزبي او الفلاح الحزبي او الجندي الحزبي الذي يعيش حياة حزبية صحيحة ويتتبع بشغف كل ما يصدر عن الحزب من انتاج فكري ويشارك في كل مناسبات النضال الحزبي ويحدد سلوكه اليومي على ضوء شعوره بمسؤوليته التاريخية ، قد يصل الى مستوى من الثقافة الحزبية تتجاوز ثقافة المثقفين الذين يكتفون بالعمل الفكري العام المجرد .

ان الثقافة الحزبية تتمتع بخصائص تميزها عن الثقافة العامة وان كانت تتطلب حدودا من هذه الثقافة العامة تتناسب مع مسؤولية العضو الحزبي .

فالثقافة الحزبية ثقافة ثورية تتطلب ربط الفكر الحزبي بالعمل الحزبي كما تتطلب عملا تثقفيا سياسيا وتنظيميا وشعبيا مستمرا ومتصلا بتاريخ الحزب وبحياته اليومية .

انها ثقافة **سياسية** تتطلب وعيا للواقع السياسي العربي في أقطار الامة العربية كافة ومعرفة بالتركيب السياسي لهذا الواقع اي بالتيارات السياسية وبمدى قوتها ونوعيتها وطبيعة ارتباطها بالجماهير وبموقفها من قضايا الامة العربية الاساسية كالصراع مع الاستعمار ومع الصهيونية العالمية ومع قوى التخلف ومع الاقطاعية والرأسمالية ، وموقف هذه التيارات من الحزب .

فالثقافة السياسية الحزبية تتجلى في درجات من الوعي تختلف باختلاف مراتب العمل الحزبي ، فالعضو العامل يحتاج الى ثقافة سياسية تتجاوز مستوى ثقافة النصير وثقافة العضو القائد تحتاج الى مستوى أرفع من مستوى ثقافة العضو العامل . الا انهم جميعا ينطلقون من منطلق واحد هو الحاجة الى تكوين منطق سياسي يحلل الاوضاع والظروف على ضوء فكرة الحزب تحليلا سياسيا يأخذ بعين الاعتبار القوى السياسية في الوطن العربي وفي العالم وموقف

هذه القوى من الحزب وموقفه منها .

والثقافة الحزبية ثقافة **(تنظيمية)** تتطلب وعيا لمهمة الحزب ولبرنامجه ولتركيب الحزب التنظيمي ولعلاقة العضو الحزبي بمنظمته وعلاقة منظمته بمنظمات الحزب وعلاقة القاعدة بالقيادة والقيادات الدنيا بالعليا ، وللهوية القومية للحزب التي تميزه عن سائر الاحزاب العربية الاخرى بتنظيم قومي شامل كما تتطلب وعيا لحقوق العضو وواجباته وممارسته لهذه الحقوق والواجبات . فالاطلاع على النظام الداخلي للحزب هو المدخل لهذه الثقافة التنظيمية ، وممارسة أحكام هذا النظام عن ادراك ووعي مهمة العضو العامل . اما العضو القائد فان ثقافته التنظيمية تتجاوز هذا الدور الى الاطلاع على الانظمة الداخلية للحركات السياسية الثورية في العالم ومقارنتها بنظام الحزب وإدراك الصلة بين النظام الداخلي وبين الاسس الفكرية التي يقوم عليها والتي تنبع من فكرة الحزب .

ثم ان الثقافة الحزبية ثقافة **(شعبية)** متفاعلة مع قضايا الشعب الحيوية اليومية الاقتصادية والاجتماعية . فالعضو الحزبي لا تكمل ثقافته الحزبية اذا لم يكن لها مضمون واقعي مرتبط بالمشاكل العمالية والفلاحية ، بمشاكل القرية والحي والمصنع والمدرسة . واذا لم تقترن بمعرفة لأساليب العمل الشعبي .

ان الثقافة السياسية والتنظيمية والشعبية هي في حزبنا ثقافة نابعة من مستلزمات الثقافة الثورية التي تميز فكرة الحزب . فهي ثقافة عقائدية تنظر الى السياسة والى التنظيم والى العمل الشعبي من زاوية نظرية الحزب القائمة على الارتباط المتبادل بين الوحدة والحرية والاشتراكية . فهي اذن ثقافة **(قومية)** ترتبط بسياق تاريخي محدد هو الامة العربية في ماضيها وحاضرها ومستقبلها وفي علاقتها بالعالم وبالتقدم البشري ، فصورة الماضي القومي وصورة الحاضر يجب ان تكون في ذهن الحزبي على درجة من الوضوح تسمح له بتكوين منطق ينطلق من قضية الامة العربية الواحدة في صراعها القومي مع الاستعمار وفي صراعها مع كل آثار التجزئة من عصبيات اقليمية وطائفية وعشائرية وعائلية وفي النظرة الى ارتباط القومية العربية برسالة انسانية اي بقيم الحق والحرية والعدالة وبآفاق تاريخية تنفي عنها كل ما عرف عن التيارات القومية في اوروبا من انغلاق وتعصب واتجاه عرقي ، وتربطها بتجارب التحرر في آسيا وافريقيا اي بيقظة العالم وقومياته الثائرة على النظام الاستعماري والتي تعاني تجربة التحرر وتدفع ثمن الحرية .

ان القومية حركة نضالية مادتها الشعب العربي الا ان هدفها انساني هو الدفاع عن الحرية في العالم اجمع ومحاربة الاستعمار أينما وجد . فالتشبع بالثقافة العربية لا يعني الانغلاق على التراث العربي ولا الاكتفاء باللغة العربية ولا يعني مجرد الاعجاب بالماضي بل هو جهد فكري لتطوير هذه الثقافة وربطها بالواقع الحي وبتيارات العصر ، واغناء لهذا التراث واطلاع على التيارات الفكرية في العالم ووضع الثقافة العربية في المكان الذي تتطلبه معركة الامة في سبيل تقرير مصيرها وتحقيق اهدافها .

كما ان الثقافة الحزبية ثقافة **(اشتراكية)** تربط الصراع القومـــــي بالصراع الطبقي ربطا يحقق الصلة العضوية بين المفهوم القومي والمفهوم الاشتراكي ، لذلك فهي ثقافة تأخذ بعين الاعتبار تحليل التناقضات القائمة في المجتمع والتناقضات التي يخلقها وجود النظام الراسمالي في العالم وعلاقة هذا النظام بالاستعمـــــار وباشكاله الحديثة . فالفكر الحزبي الاشتراكي فكر علمي منفتـــح على التجارب الاشتراكية في العالم وعلى تطويرها ، ومقبل على التراث الاشتراكي العالمي يغذى به ، كما انه فكر تخطيطي يقوم على ضبط الحقائق بالارقام وعلى التنبؤ بالخطوات اللازمة وبالحاجات التي يتطلبها التحويل الاشتراكي .

ازمة الثقافة الحزبية :

على ضوء الخصائص التي تتميز بها الثقافة الحزبية ، وعلى ضوء نشأة حزبنا ومراحل تطوره وتيارات العالم الراهن الفكرية يتبين لنا اولا ان حزبنا يتحمـــل مسؤوليات ثقافية كبرى ، كما يتبين لنا ان واقع الحزب الثقافي بعيد عن حمل هذا الدور التاريخي . فنحن نعاني من ضعف الثقافة السياسية والتنظيميـــة والشعبية ، ومن ضعف الفكر القومي والفكر الاشتراكي والصلة بينهما ، ونعاني ازمة لا بد من تخطيط علمي وجدي لتجاوزها كيما يبقى حزبنا دوما ممثلا حقيقيا لفكر الامة العربية المعاصر .

ففي حزبنا ثقافات حزبية اكثر منها ثقافة حزبية واحدة وهي في مجملهـــا ثقافات فجة غير ناضجة لانها تفتقر الى العمق والنزاهة الفكرية كما تفتقر الـــى الاساس العلمي الموضوعي .

كما ان العمل الحزبي لا يزال مفتقدا الى الصلة العضوية مع فكرة الحزب ، فأثار السلوك الاقليمي والطائفي والعشائري تكشف عن ضعف كبير بين الموقف والفكر الحزبي يصل الى حد التباعد احيانا وهذا مظهر من مظاهر ازمة الثقافــة الحزبية ، لان الثقافة الحقيقية لا بد ان تنعكس على السلوك العملي وعلى الموقف اليومي من الاحداث ومن الاشخاص ومن التيارات الاجتماعية .

فعندما يتحد العضو الحزبي بفكرته لا بد ان تسقط عنه كل رواسب الواقع الفاسد الذي خرج منه عندما انتسب الى حزب البعث . فالعامل والفلاح والطالب والجندي عندما يربط عمله الحزبي بمصلحة شخصية او عائلية او طائفية ، انما يعبر عن ازمة عميقة في تكوينه الحزبي مظهرها الاول ازمة في ثقافته الحزبية التي تتطلب ربط العمل الحزبي والنضال القومي بفكرة الحزب وبالقيم الانسانية التي يسعى الى تحقيقها وتبديل الواقع على اساسها .

ان قوة التنظيم تتوقف الى حد بعيد على وحدة الفكر الحزبي ، لذلك فـــان احد مصادر الخلل التنظيمي في حزبنا انما يعود الى تصدع هذه الوحدة فـــي الفكر الحزبي ودخول تيارات اخذت شكل ردود فعل اضعفت الثقة بفكر الحزب وبقدرته على التطور . فقد اكتفى بعض الرفاق بترديد صيغ جاهزة مستعارة من الفكر الايديولوجي الكلاسيكي دون ان يقوم بجهد جدي او بدراسات علمية واقعية

مستمدة من الواقع العربي تغني الفكر الحزبي وتساعده على التطور . فعمل بذلك على تضخيم أزمة الحزب الفكرية بدل ان يعمل على ايجاد الحلول الموضوعية لها .

ان ازمة الحزب الثقافية تتجلى بالدرجة الاولى في تقصير الرفاق الحزبيين عن بذل جهد ذاتي من التثقيف ، كما تتجلى ايضا في عجز المكاتب الثقافية في واقعها الراهن عن تغطية ازمة الحزب الثقافية وتزويد الرفاق بالتوجيه وبالمادة الطبيعية للعمل التثقيفي .

اننا نلمس قصورا في المتابعة وفي التجديد الثقافي لدى الرفاق ، كما نلمس ثغرات كبيرة في التفكير الحزبي حتى لدى الاعضاء القياديين في الحزب ، يضاف الى ذلك شعور بالنقص تجاه الجهد الثقافي العالمي . ان احدى ثمرات هذه الازمة هذا الفقر الكبير في الامكانيات الثقافية في حزب عرف دوما بانه حزب المثقفين .

ان هذه الازمة تشكل خطرا على مستقبل الحزب اذا لم يوضع لها العلاج . وهذا الخطر ، خطر انخفاض مستوى الثقافة الحزبية ينعكس بالدرجة الاولى على واقع الاجيال الجديدة التي تدخل الحزب . لذلك لا بد من خطة ثقافية تعالج هذه الازمة وتتناول مراحل الاعداد الحزبي بدءاً من الانصار حتى الاعضاء العاملين والاعضاء القياديين . والحزب بصدد وضع هذه الخطة .

(حزيران ١٩٦٥)

في التربية الحزبية [1]

- ١ -

التربية الحزبية تعني عملية التثقيف واعادة التكوين الفكري ، والخلقي ، والعملي ، التي يقوم بها الحزب الثوري تجاه مناضليه وملاكاته . فالحزب الثوري يستقبل المناضلين الذين ينتسبون اليه بعد فترة محددة من اعداد ثقافي عام ، ومن التجربة العملية . غير ان هؤلاء المناضلين الجدد – ولاسيما المنحدرين منهم من اصل طبقي برجوازي صغير – يحملون معهم مفاهيم وتقاليد متخلفة ، مناقضة لفكرة الحزب وتقاليده النضالية . كما انهم يأتون وهم مزودون بالحد الادنى من الفهم العام للحزب ، وفكرته وستراتيجيته واهدافه العامة واساليب عمله (البرنامج والنظام الداخلي) . فلكي يصبح هؤلاء المناضلون ثوريين صالحين ، وأكفاء ، لا بد من اعادة تكوينهم الفكري ، وتشذيبهم من العادات والتقاليد البرجوازية الصغيرة ، كما لا بد من تعميق مستواهم الثقافي والنظري ، ورفع هذا المستوى باستمرار . وكل هذا يدعى بعملية التربية الحزبية . ولذلك فان التربية الحزبية مهمة اساسية ثابتة من مهمات الحزب الثوري ، منذ البداية الاولى لتكوينه وحتى الاطوار المتقدمة لوجوده . فاذا تساهل الحزب في هذا الميدان ، فمعنى ذلك تساهله مع عقليات ومثل ومسلكيات غريبة عنه ، ضارة لنشاطه ، وبالتالي ، يعني تحويل الحزب الى ناد للمثقفين، او الى ملتقى توفيقي، لالتقاء وتعايش مختلف الايديولوجيات والاساليب والمسلكيات . وبذلك تشل فاعلية قراراته ، ويصبح تشكيلة لا تشدها وحدة الفكر والارادة والعمل ، ومنظمة سائبة لا شكل لها . فاذا تراخى الحزب مثلا في مكافحة عقليات وميول الكبرياء الذاتية ، والانانية الفردية ، والغرور ، بين اعضائه وتنظيماته ، تعذر على الحزب تحقيق وحدة صخرية فيه ، وتأمين مبادرة ونشاط اعضائه وتنظيماته بشكل موحد ، وباندفاع ، وكرجل واحد . وهنا تصبح افضل القرارات والشعارات مجرد تسطير على الورق ، ولا تمتلك قدرة التحول والتحويل ، والتأثير الفعلي . واذا وقف الحزب موقف اللامبالاة تجاه التضارب الحاد في الاجتهادات والتقديرات ، او تجاه المسلك التنظيمي الخاطىء لهذه المنظمة او تلك، ولاعضائه الفرادى ، اصبح مسرحا للتطاحن والخصام ، ومعرضا الى خطر الانقسامات ... الخ .

ان الحزب الثوري يعتمد في نشاطه على شبكات من المناضلين الشجعان ، المضحين ، الواعين ، الوعي الكافي الذي هو شرط للصلابة والرسوخ ، والاستمرارية ، وللنشاط المبادر . والوعي بهذا المفهوم لا يعني فقط المعلومات

---

١ – «الثورة العربية» – السنة الثالثة ، العدد الثالث ، ١٩٧١ .

النظرية والسياسية اللازمة ، بل يعني ايضا سيادة اخلاقية ثورية متينة، وعلاقات رفاقية اشتراكية بين الاعضاء ومسلكية عملية منسجمة مع فكر ونظرية الحزب واهدافه الكبرى . فالضحالة الثقافية ، والغرور ، والفردية الانانية ، والتبجح ، والبيروقراطية ، ورفض النقد ، والليبرالية في التنظيم ، والثرثرة .. الخ .. هي عدو لدود للحياة الحزبية السليمة ، وللاخلاق الثورية الطليعية ، وللافكار والقيم الاشتراكية الثورية .

ان هذه الظواهر والمسلكيات والعقليات هي جزء من ايديولوجيات الاقطاع والفئات البرجوازية ، والبرجوازية الصغيرة . وحين ينتسب المناضل الى حزب ثوري حقيقي ، لا يستطيع التخلص دفعة واحدة من هذه التركات . ولذلك لا بد للحزب ان يأخذ بيده ، بصبر ومرونة ، ومثابرة ، لتحويله الى مناضل طليعي حقا . وهنا تلعب التربية الحزبية دورها الخلاق .

- ٢ -

ان هذه العملية تتطلب :

١ ـ ان تكون للحزب رؤيا واضحة وبرامج صائبة ، وسياسات وشعارات وحياة تنظيمية سليمة . فذلك هو الشرط الاول لكسب ثقة القاعدة ، والتفافها حول القيادة ، ولتأمين انضباط حديدي واع في صفوف الحزب ـ ذلك الانضباط الذي هو شرط حيوي لديمومة الحزب ناهيكم عن انتصاره .

٢ ـ وضع خطط وبرامج تثقيفية ، سياسية ، ونظرية ، دورية ، تتبدل من فترة الى اخرى ، على ان تكون ذات ارتباط تام بالمهمات الاساسية والمرحلية للحركة الثورية ، وعلى ان تراعي مشاكل مختلف المناطق في البلد الواحد ، والمشاكل النوعية لمختلف القطاعات الحزبية . اي بجوار المواضيع العامة ، المشتركة ، يجب ايضا ادخال مواضيع محددة خاصة . كما وان هذه الخطط والبرامج يجب ان تكون عملية ، وان تراعي المستويات الحزبية الثقافية المختلفة، فما يدرّس للكادر الاكثر تقدما ، قد يصعب هضمه من قبل اعضاء وردوا الحزب تواً ، ولاسيما اذا كانوا من الكادحين . ان برامج التثقيف الحزبي يجب ان تكون مرنة وطموحة بالقدر الممكن ، ومن الخطأ رسم برامج جامدة ، واسعة ، ومتشعبة، يتعذر تطبيقها .

٣ ـ ان فتح الدورات الحزبية المختلفة ، ولمدد قصيرة نسبيا ، وخصوصا للملاكات الحزبية ، وسيلة هامة للتثقيف والتربية الحزبيين . وعلى الحزب ان لا يغفل اداء هذه المهمة ، حتى في الظروف القاسية الصعبة . وتكون هذه المهمة سهلة حين يكون الحزب الثوري ممسكا بزمام سلطة الدولة .

٤ ـ اعتماد مبدأ النقد والنقد الذاتي من ادنى المستويات حتى اعلاها .

ويعني ذلك :

أ ـ ان تقيّم قيادة الحزب من فترة الى اخرى مجمل نشاطات الحزب ، وان تشخص ما وقع من اخطاء ، وتحلل اسبابها وظروفها ، وترسم سبيل معالجتها .

ان لهذا التقليد الديمقراطي السليم اهمية تثقيفية كبيرة للقواعد الحزبية والجماهير المناضلة على السواء . وكلما كانت قيادات الحزب العليا ، متمسكة بمبدأ النقد والنقد الذاتي ، وتكون القدوة في تطبيقه ، تتشجع القواعد والملاكات الحزبية العامة على ممارسة هذا المبدأ باندفاع اكبر . ويدخل في هذا البـاب ايضا ان تطلب القيادات باستمرار ملاحظات الاعضاء وآراءهم ، وان تجيب عليها ، وان تأخذ بالصالح منها .

ب ــ أن تمارس القيادات الحزبية تقليد الاشراف الحزبي الدائم على المنظمات والاعضاء ، وتأخذ بقاعدة المحاسبة ، وتفرض العقوبـات عند الضرورة . ان العقوبات الحزبية اذا كانت سليمة ، هي وسيلة تربوية هامة للعضو المخطيء ، كما وانها وسيلة لصيانة الحزب من الاعضاء غير الصالحين وتصرفاتهم المسيئة .

ج ــ ان تطبق جميع التنظيمات والهيئات الحزبية قاعدة النقد والنقد الذاتي، تجاه التصرفات واساليب العمل الخاطئة ، وبالاساليب التنظيمية المقرة . ان معوقات وميولا سلبية عديدة تعرقل هذه الوجهة السليمة ، منها ظاهرة العشائرية في العلاقات ، او العنعنات الشخصية (الحب او النفور) ، او كبرياء المثقفين التي تعتبر النقد اساءة والنقد الذاتي اسقاطا للشخصية . ان هذه الظواهر والميول سائدة في مجتمعنا ، وتحيط بالاحزاب الثورية ، وتتسلل اليها من خلال الاعضاء الجدد ، خصوصا ذوي الاصل البرجوازي الصغير . لذلك فمن واجب القيادات العليا ان تثقف مجموع الحزب ضد هذه الظواهر ، وبروح التواضع ، والعلاقات الرفاقية ، والمباراة الاشتراكية . ومن المخاطر الدائمة التي تتعرض لها ممارسة الاعضاء للنقد والنقد الذاتي ما يلي :

اولا ــ بيروقراطية المسؤول ، او الهيئة الاعلى ، وضيقهم بالنقد الوارد من أدنى . ولمعالجة ذلك لا بد من نصوص صريحة في النظام الداخلي تدين وتعاقب هذه الممارسات البيروقراطية .

ثانيا ــ التشديد في النقد ، بتضخيم الخطأ الصغير ، او التصرف البسيط، وبتوجيه الاتهامات الاعتباطية القاسية للعضو المخطيء . وأحيانا تكون الدوافع اللامبدئية (كالعداء الشخصي او الشعور بالمنافسة) من وراء هـذا التشديد ، فيقف المنتقِد موقف المتربص لزميله أو مسؤوله ، لإقتناص اية هفوة ، وتهويلها وشن حملة باسمها .

ثالثا ــ سيادة المحاباة والعلاقات الشخصية داخل المنظمة الحزبية ، او قسم من اعضائها ، مما يجعل هؤلاء يغضون النظر عن اخطـاء بعضهم البعـض ، ويحاولون سترها، او التهوين منها، حرصا على العلاقات الشخصية (الصداقات).

رابعا ــ كلما كان المستوى الثقافي والسياسي للعضـو منخفضا ، كانت ملاحظاته وانتقاداته جزئية، سطحية ، تعنى بالقشور وتعجز عن الامساك بالجوهر والعكس بالعكس . ومما له أهمية خاصة تشجيع روح المناقشة العلمية ، داخل الحزب ، وتربية الاعضاء باستقلالية الفكر ، وموضوعية الاحكام ، مع احتـرام آراء الآخرين ، وعدم التطير من الخلافات في وجهات النظر ، وعـدم التشبث

بالرأي الخاطىء عندما يتجلى خطأه . ان تربية العضو بهذه الروح العلميةالانتقادية البناءة ينبغي ان تتم ، بالطبع ، بموازاة تربيته بروح الالتزام بالانضباط الحزبي وتنفيذ القرارات بعد اتخاذها سواء كان العضو متفقا معها او متحفظا عليها .

٥ ـ لكن أهم مدرسة حزبية للتربية الحزبية هي النضال العملي نفسه ، سواء في مرحلة الكفاح السياسي الثوري (المرحلة «السلبية») او في مراحل ما بعد الانتصار . فالخبرة العملية والممارسات النضالية المختلفة ، من أشكال الكفاح الثوري الى النشاطات الجماهيرية وحملات البناء بعد النصر ، هي البوتقة الحقيقية التي تستطيع ان تصهر الاعضاء الحزبيين المخلصين في بوتقة الحزب والحركة الثورية ، وأن تصقلهم ايديولوجياً وخلقيا ، وأن تضمن كشف الاعضاء المعرقلين والمسيئين ، وتطهر الحزب منهم ، كما انها المدرسة الحقيقية لجرد الاعضاء والملاكات ، وتشخيص الكفاءات المطمورة ، وترقيتها الى المراكز الآهلة لها . والواقع ان الحزب الثوري كله يتطور فكرا وسياسةوخبرة وتنظيما وتكوينا، في غمار النضال والعمل ، ويرتفع مستواه ويتطور ويرقى عبر مراحل النضال المختلفة بشرط ان تكون مواقفه العامة ثورية وصائبة . فاذا اقترن الفكر النظري الواضح ، والادراك السياسي العام لدى العضو الحزبي ، بالخبرة العمليةالضرورية اصبح مناضلا جيدا ، وتزداد قدراته على خدمة القضية الثورية للحزب .

- ٣ -

ان الثقافة الحزبية (النظرية والسياسية) ، وان الروح الحزبية (القومية الثورية الاشتراكية) هما عماد التربية الحزبية .

ان الركن الاول (الثقافة الحزبية) يتحقق عن طريق النشر والتعليم الحزبي (الصحافة والمنشورات والكراريس ، ودورات التثقيف ، والمدارس الحزبية الخاصة) . وهذا الركن اساسي ، لانه يضمن ان تكون لدى العضو الحزبي رؤيا سديدة لآفاق النضال واهدافه ، ولانه اساسي هام جدا في عدم استسلام العضو للتردد والتشاؤم والانهزامية في ايام المحن والازمات والشدائد والتقلبات السياسية الحادة .

اما الركن الثاني (الروح الحزبية) فانه يضمن التوافق بين الفكر والعمل ، بين النظرية والتطبيق ، بين الثقافة والحياة النضالية . فأعضاء الحزب الثوري يجب ان يكونوا قدوة المجتمع ، والمثال في العزيمة ، والامانة والاخلاص للشعب ، وروح التضحية والفداء ، والتجرد من المطامع الشخصية ، والتحلي بالتواضع ، وروح التلمذة على الجماهير والالتصاق بها .

ان روح الانانية والكبرياء ، والغرور ، والثرثرة (.. الخ ..) تفقد العضو الحزبي صفاء النظر وموضوعية التفكير ، وتنسيه تدريجيا اهداف الحزب التي هي اهداف الجماهير . تنسيه انه خادم للجماهير برغم كونه عضو الطليعة فيها ، وان مجموع تصرفاته ومسلكيته يجب ان تنسجم مع المصالح العليا للجماهير وحركتها الثورية ، وأن تتحرر من جميع آثار عقليات وميول الطبقات الاستغلالية

في المجتمع . وتزداد هذه الظواهر خطرا بصعود الحزب الثوري الى الحكم واستلام العناصر الحزبية للمسؤوليات في مختلف اجهزة السلطة . فاذا كان الكادر الحزبي البيروقراطي تجاه منظمته ايام النضال السري ، يسيء بتصرفه ، الى تلك المنظمة ، فانه عند استلامه المسؤولية في احد اجهزة الحكم سيسيء الى الشعب مباشرة ، وأمام أنظار الشعب . وستحسب تصرفاته حتما على الحزب كله . واذا كانت نزعات التسلق بأي ثمن ضارة داخل التنظيم الحزبي في عهود النضال السلبي ، فان ضررها يزداد أضعافا اذا سمح لها ان تستلم مسؤوليات حكومية هامة .

ولذلك فان العمل التربوي المثابر لاجل سيادة الروح الحزبية العالية . يظل مهمة بالغة الخطورة بالنسبة للحزب الثوري المنتصر . ان اصدار دراسات مبسطة حول هذه المواضيع ، وان الرقابة الحزبية من اعلى وان المحاسبات والعقوبات الحزبية ، هي الوسائل المفيدة لتحقيق هذه المهمة .

ان لغة الاقناع والشرح الصبور ، ونبرة الرفاقية والايجابية . هي الاساس لممارسة هذه العملية التربوية . وهذا الاساس لا يجب ان يعني تساهلا تجاه المخالفات الخطيرة والتصرفات البالغة السوء ، حيث يجب في هذه الحالات اعتماد أقصى الصرامة ضمانا لوحدة الحزب ، وعلاقته بالجماهير ، ولقوة مبادراته ولهيبة أفكاره ، وخصوصا اذا كان الحزب في الحكم .

ولما كانت الجماهير هي صاحبة القضية ، ولما كان الارتباط بها سر نجاح الحزب الثوري ، فان ربط العضو الحزبي بحياة الجماهير وآلامها ومبادراتها واشراكه في نشاطاتها الانتاجية ، هو من اهم الوسائل الاساسية للتربية الحزبية، ولتصليب العضو الحزبي (لاسيما غير الكادح) بالروح الثورية الاشتراكية . وبعد النصر خصوصا ، يجب ان يكون الاعضاء الحزبيون هم القدوة في التقيد بانضباط العمل والوظيفة ، وفي التضحية بالوقت والراحة ، وفي المساهمة مع الجماهير وفي حل مشاكلها . ان الحزب بعد الثورة يصبح مكشوفا للانظار ، كالمرآة وان اية لطخة على هذه المرآة ، تتكشف حالا للناس . ومهما تكن المنجزات التي يحققها الحزب المنتصر للجماهير فان هذه الجماهير تظل متطلعة الى اعضاء الحزب وملاكاته (من كانوا منهم في الجهاز الحكومي او في المنظمات الشعبية او غيرها) تحصي تصرفاتهم اليومية ، وتراقبهم عن كثب . وأن قوة المثال ، الايجابية او السلبية ، للحزبيين ستنعكس على موقف الجماهير ايجابا او سلبا ، وهذا ما يجب ان يكون في مركز الإهتمام الدائم المستمر للحزب ولاسيما قياداته العليا .

(عام ١٩٧١)

التكوين الايديولوجي للمناضلين [1]

في التثقيف الثوري الذاتي :

ان النظرية الثورية هي البوصلة المرشدة للاحزاب الثورية ، على اساسها يحلل الواقع ، وتبنى خطط النضال للحاضر والمستقبل . فالنظرية الثورية تمثل خلاصة العلم والتجربة العالميين ، فهي تستند الى آخر معطيات العلوم ، وتعمم استنتاجاتها الاساسية وتستند الى خلاصة التجارب الثورية العالمية وقسماتها وخصائصها وقوانينها الاكثر عمومية والاكثر شمولا .

ان النظرية الثورية ليست علما فوق العلوم ، أو علم العلوم ، ولكنها أرقى العلوم باعتبارها قادرة على الغوص في تعقيدات الواقع المحلي والقومي والدولي، وسبر تناقضاتها المتشابكة وكشف الجوهري والاساسي المختفي وراء الظواهر والجزئيات ، والامساك بالقوانين الاساسية والحاسمة في هذا التطور . ومن هنا كانت النظرية الثورية ضرورية ليس فقط للاحزاب والحركات الثورية بل وكذلك للعلماء اذ بها يتمكنون من التوصل عبر دراساتهم واكتشافاتهم الجزئية الى استنتاجات عامة صحيحة حول تطور الطبيعة والكون .

ان النظرية الثورية ، اذ تحافظ على جوهرها العام العالمي المشترك ، فانها تكتسب خصائص وطنية وقومية وفقا لطبيعة وخصائص المجتمع والحركة الثورية فيه ومراحل تطور هذه الحركة . ان النظرية غير مجردة ، غير مطلقة وغير عائمة في فراغ ، بل هي عالمية وقومية متميزة في آن واحد . ومن هنا فالنظرية الثورية حقا في الحركة الثورية العربية ليست فقط نظرية القوانين والتناقضات الاساسية للمجتمعات البشرية عموما ، وليست فقط نظرية الصراع الطبقي العالمي بين الطبقات الاستغلالية والطبقات الكادحة ، بل هي في الوقت ذاته نظرية الصراع القومي الثوري في الوطن العربي ضد الامبريالية والاستعمار واسرائيل ، ضد التجزئة والتخلف ، ومن اجل التحرر الكامل والوحدة واستعادة فلسطين . وان اي فهم للقوانين الاقتصادية والاجتماعية ذات الطابع العالمي بمعزل عن الاشكال الملموسة النابعة عن الخصائص والميزات القومية والوطنية ، هو فهم تشويهي . هو مسخ فهم وكاريكاتير فهم ليس إلا . ويبرز طابع هذا التشويه اكثر حين ندرك ان الثورات الاشتراكية الكاملة قد انتصرت في رقعة معظمها ينتمي الى ما يدعى بالعالم المتخلف ، وان هذه الثورات قد تطورت من ثورات وطنية قومية ديمقراطية لتتحول الى ثورات اشتراكية . فالمهمات القومية والنضالات القومية قد اصبحت جزء لا يتجزأ من الثورات الاشتراكية . وحتى في كثرة من البلدان الرأسمالية المتقدمة لا تزال للمهمات القومية اهميتها (ضد التغلغل الامريكي مثلا).

---

[1] - «الثورة العربية» ، السنة الثالثة ، العدد الرابع .

ليس هناك ثورة قومية تحررية صرفة ، ولا ثورة اشتراكية (طبقية) صرفة . فالعناصر والمهمات والجوانب تتشابك في عملية ديالكتيكية حية معقدة . وان النظرية الثوريةلا تكون علمية بحق الا اذا عكست مختلف هذه العناصر والجوانب. ان اضفاء الصفة الاممية على النظرية الثورية ، عن طريق القفز عن القومية هي نوع من العدمية لا يمت بصلة الى النظرية الثورية ولا الى تجارب الحركات الثورية الكبرى في عصرنا . كذلك فان تصور حركة قومية بمعزل عن التيار الثوري العالمي ، عن الحركة الثورية العالمية ، هو تصور ضيق الافق وفادح الاضرار ، فهو لا يغفل عن واقع الصلة القائم فعلا وحسب ، بل يؤدي ايضا الى عزل الحركة الثورية القومية وتجريدها من الحلفاء والانصار في العالم .

على اساس النظرية الثورية يعمل الحزب الثوري لتشخيص طبيعة المجتمع وخصائصه ، وطبيعة المرحلة وميزاتها ، ومن ثم طبيعة المهمات الاساسية التي يجب النضال من اجلها في كل مرحلة من مراحل التطور النضالي وصولا الى الاهداف البعيدة . ان تحليل واستيعاب طبيعة المجتمع ومتناقضاته وتركيبه الطبقي والقومي ، ودرجة تخلف او تطور اقتصاده ، وفرز القوى المعادية للتقدم، وفرز الحلفاء في الداخل والخارج – كل هذه المهمات الجسيمة التي تتمثل في بلورة وصياغة البرامج والخطط الستراتيجية والاهداف والشعارات ، ولا يمكن انجازها من دون بوصلة النظرية الثورية . وطبيعي ان النظرية بحد ذاتها لا تخلق حزبا ثوريا ، فالمطلوب مع عملية التنظير مارة الذكر ان يكون للحزب تنظيم كفوء للقيام بالمهمات المطروحة وأن تكون له صلات قوية ومستمرة بالجماهير ، وان يكون متمرسا بأشكال النضال الثوري المختلفة وأن تكون له استراتيجيته الثورية الواضحة وأساليبه ، وخططه التكتيكية البارعة .

ان التنظير الثوري والتنظيم الثوري والممارسة الثورية كلها أوجه اساسية لقضية اسمها الحزب الثوري . وكما ان العمل بدون مرشد نظري سيكون دورانا في حلقات مفرغة او انغمارا في لحظات اليوم دون استشراف آفاق المستقبل ، فان التنظير الثوري بدون عمل سيكون مجرد ثرثرة مثقفين . وبين التنظير والعمل هناك التنظيم الذي يؤهل الحزب لترجمة شعاراته ووعوده في ميدان العمل ، اي التطبيق .

ولكن الحزب الثوري ليس كائنا مجردا ، بل هو حاصل مجموع تنظيماته وكوادره وأعضائه وأنصاره الواعين ، المتحركين . وبالتالي فان النظرية الثورية يجب ان تتمثل في أفكار ونشاطات هذه المجموعة الديناميكية الواحدة المتفاعلة وليس في القيادات وحدها . وبتعبير آخر ، ان الحزب الثوري يجب ان يعمل وباستمرار لضمان توفير المستوى الرفيع في التثقيف الثوري على جميع المستويات ، وان كانت هذه المهمة هي أشد ضرورة وإلحاحا بالنسبة للكوادر القيادية بحكم جسامة ودقة مسؤولياتها ومهماتها . وأيا كانت ظروف الحزب فان مهمة التثقيف تظل من أهم مهماته الداخلية . وطبيعي انه في ظروف تسلم الحزب لزمام السلطة تتوفر امكانيات وفرص أوسع وأكبر بما لا يقاس لاداء هذه

مهمة . صحيح ان واجبات الاعضاء والملاكات تزداد وتتشعب بعد استلام السلطة، ولاسيما تلك الاعداد التي تكلف بمسؤوليات في الادارة الحكومية والتنظيمات الشعبية . كما وصحيح ايضا ان عدد الحزبيين يظل قاصرا بالنسبة لعدد السكان، ونسبة لجسامة وكثرة المهمات . غير ان ذلك لا ينبغي ان يكون مبررا لاهمال التثقيف الثوري بأشكاله الحزبية العامة والذاتية .

ان اهمال التثقيف سيؤدي الى انغمار الحزبيين في الاعمال اليومية او الادارية واغفال مهمات المستقبل ، واهمال القضايا السياسية الكبرى الوطنية والقومية والدولية فيصبح الحزبي كالآلة الصماء تنهك نفسها وتكاد تنسى في همومها اليومية الشاقة القضايا والمشاكل العامة الكبرى . كما وان اهمال التثقيف سيساعد على ان يقع عدد غير قليل من الحزبيين انفسهم ضحايا للتهويش والارباك المضادين ولحملات الاشاعات المسمومة ، وللاضطراب الفكري في ايام الصعوبات والازمات . اذا كان الحزبي واعيا لافكار حزبه وأهدافه ، مستوعبا لتجارب الحركات الثورية العالمية فسوف يكون متسلحا بيقظة ووعي يمكنانه ـ اينما كان موقعه في المجتمع ـ من التصدي للعناصر الرجعية وفضح أعمالها التآمرية :

فاذا كان موظفا ، فانه لن ينخدع بمظاهر التزلف والمراوغة والرياء وبالتالي لن يقع ضحية لألاعيب هذه العناصر التي تظل تتربص بالثورة . ان النظرية والتجربة العالمية تؤكدان على ان الرجعية ، ايا كانت مواقعها ، قد تنحني امام العاصفة الثورية ولكنها لن تستسلم ولن تكف عن تخريباتها وتآمرها برغم التلون وتنوع الاساليب ، ولا يمكن لمناضل واع حقا ان يصدق يوما ما ان اللين مع الرجعية المنخذلة سيبدل طبيعتها وسيحولها من افعى تفتك الى حمامة وديعة .

واذا كان الحزبي نقابيا ، فان تسلحه بالنظرية الثورية واستيعابه للتجارب الثورية الحية او للمهمات الاستراتيجية والمرحلية لحزبه ووطنه ، فانه سوف لا يكون قادرا ـ في هذه الحالة ـ على حماية حقوق الطبقة العاملة وتطويرها الى أرفع مستوى فقط ، وانما سوف يكون قادرا ايضا ـ وهذا هو الاهم في عمله الثوري ـ لان يقوم بحق ، بدوره القيادي ، في تمكين الطبقة العاملة من القيام بدورها الثوري الاساسي في المشاركة الجادة بتقرير وممارسة سياسة وادارة الحكم في البلاد .. ذلك لان الاصل في القيادة النقابية الثورية ان تصبح هذه القيادة هي مصدر حقوق الطبقة العاملة ، وليست مجرد محام عنها يستجدي لها الحقوق ، ويعيش على ترديد آلامها وهمومها .

كما ان الصحفي الحزبي ، عندما يكون متمكنا من المنطق النظري الثوري لحزبه ، وملما الالمام الكافي بسياساته وخططه واهدافه المرحلية والاستراتيجية. فان مهمته آنذاك لن تقتصر على الوظيفة الإخبارية ، والتعليقات المناسبة والاصداء وردود الفعل ، بل سوف يتحول الى داعية لحزبه في جميع مجالات الحياة . وفي مختلف الاوساط المحلية والعربية والدولية .. بالشكل الذي يمكنه من استباق الاحداث وطرح الافكار الصحيحة على الرأي العام ، لكي يحميه من التسمم بالافكار المدسوسة التي تعمل باستمرار على تشويه منجزات الحزب

والثورة ، وتقديمها بشكل معكوس ، لاسيما عندما لا تكـــون هذه المنجزات ، مسبوقة ، ومرفقة ، ومتنوعة، بالإيضاحات الصادقةوالتعليقات الايجابيةالمخلصة.

ان مثلا واحدا نسوقه في هذا الصدد يكفي لبيان الفارق النوعي الخطير بين الصحفي المحترف فقط ، وبين الصحفي الحزبي الثوري . لنفترض ان موضوع البحث هو بيان ١١ آذار التاريخي ، ان نظرة الصحفي المحترف منه ، لن تكـون اكثر من النظرة الى «بيان» صلح بين جانبين متحاربين . تضمنت شروطا وبنودا رتبت حقوقا والتزامات على الاطراف المعنية ، وان البحث لا يتخطى عادة في مثل هذا المنطق الصحفي حدود معرفة اية مادة من البيان طبقت . وأية مادة لـــم تطبق .. وبالتالي من أخلّ بهذه الناحية ومن هو المسؤول عن تلك .. وبالتالـي ينتهي هذا الصحفي «البارع» من تحليله الى حكم «لا يقبل الجدل» بان البيان قد نجح ، او انه مهدد بالفشل «... كذا ..» لكن الصحفي الحزبي الثوري المتشبع بنظرية الثورة ، والملم كل الالمام بالدوافع الايديولوجية للحزب التي املت بيان ١١ اذار التاريخي ، ان مثل هذا الصحفي لن ينظر الى بيان ١١ اذار من خـــلال «الوثيقة» التي صدر بها فقط .. ولا من خلال ما تضمنته هذه «الوثيقة» من بنود وشروط فقط .. بل سوف ينظر اليها من خلال مبادىء الحزب ، ومن خـــلال نظرته الانسانية الثورية للحقوق القومية على الصعيد العالمي لمختلف الشعـــوب بشكل عام ، وعلى الصعيد المحلي لجماهير الشعب في العراق بوجه خاص . ان مثل هذه النظرة ، ستدفع بالصحفي حتما ، لان يقدم هذا الحدث التاريخي لا بوصفه وثيقة صلح ، او صفقة سلام ، قد تنجح اذا تم كذا وكذا .. وقد تفشل اذا جرى هذا ولم يجر ذاك .. وانما يقدمه بوصفه حقيقة ثورية خالدة ، تحققت على يد الثورة لكي تبقى .. لان اخاء القومية العربية مع القومية الكردية ، ورسوخ السلام بينهما ووحدة الجماهير هما الوطنية فوق ارض الوطن الواحد .. ليست – ولا يمكن ان تكون ابدا – مسألة صفقة او عقد .. انما مجرد تصحيح لمسار التاريخ الذي انحرف عن طريقه خلال مراحل استثنائية شاذة .. والذي لا بد ان يعود – وقد عاد – الى مساره الطبيعي .

ان التثقيف الحزبي يجب ان يكون مبرمجا وفق خطة مدروسة ، تأخـــذ بالحسبان التام المهمات الآنية والمقبلة ، ومتطلبات النضال الثوري في كل مرحلة.

وطبيعي ان القيادات هي المسؤولة عن تخطيط التثقيف الحزبي والاشراف على تطبيق الخطة ومتابعتها بصورة مستمرة ، وممارسة النقد والمحاسبة تجـــاه المهملين والكسالى .

ان التثقيف الحزبي يمكن ان يجري بأسلوبين اساسيين : أسلوب التثقيـــف الداخلي العام (جلسات التثقيف في اجتماعات الفرق ، او الدورات التثقيفيـــة الخاصة) ، وأسلوب التثقيف الذاتي (الشخصي) ، الذي يجب ان يخضع هـــو الآخر للاشراف والمتابعة الحزبيين . وأيا كانت ضغوط العمل والواجبات فـــان المناضل الثوري يجب ان يخطط لعمله اليومي ونشاطه بحيث يخصص وقتـــا للتثقيف الذاتي اليومي بأدبيات حزبه والادبيات الثورية العالمية . ان المناضـــل

الثوري مدعو الى ان يشعر ان اي يوم يمر عليه دون ان يخصص للقراءة والدراسة الثورية ساعتين او ثلاث ساعات ، هو يوم فقد فيه شيئا عزيزا غاليا ، او يوم ناقص النشاط ناقص الثمرة مهما كان قد انجز فيه من عمل يومي لصالح الثورة . وللبرمجة اهمية خاصة في التثقيف الذاتي ، لان المهم ليس القراءة ، بل ما يقرأ ، وهل يغني فكر المناضل وهل يزوده بخبر جديد او توضيحات جديدة عن امور اساسية ذات صلة مباشرة بالمهمات الثورية للمرحلة . والى جانب تخطيط التثقيف الذاتي يجب تعويد المناضلين على الاهتمام بطريقة التثقيف . فاستيعاب صفحة من الادب الثوري استيعابا متعمقا هو أجدى من قراءة مائة صفحة عابرة خاطفة لا تغني معلومات المناضل وفكره . وكلما ارتفع المستوى الثقافي والتعليمي للمناضل امكن ان يستخدم أسلوب تلخيص المقروء وتسجيل ملاحظاته عليه ثم بمراجعة هذه الخلاصات والملاحظات دوريا يستطيع ان يقيس مدى تطوره الفكري . ان هذه الطريقة تساعد على ترسيخ المعلومات من جهة وعلى قدرة التفكير الانتقادي المستقل من جهة ثانية .

ان الثقافة الثورية تسلح المناضلين بالتفاؤل العلمي في وجه الصعوبات ، وبالقدرة على نشر وايضاح أفكار الحزب بين الجماهير ، فضلا عن انها تزوده بمهارة خاصة في تشخيص اساليب التخريب والتآمر الرجعية وفضحها ، وبامكانية ربط العمل اليومي في المجال المعين بالنشاط الثوري العام في القطر وفي الوطن العربي . ولذلك يظل التثقيف الثوري احد أهم واجبات المناضل الحزبي في جميع مراحل تطور الحزب .

السلوك الثوري :

ان التثقيف الثوري برغم كل أهميته وأبعاد نتائجه ، هو جانب واحد فقط من قضية الالتزام الايديولوجي لدى المناضلين . ان الالتزام الايديولوجي الثوري لا يشمل فقط الجانب الفكري ـ النظري للمناضل الحزبي ، بل ويشمل بالضرورة جانب السلوك السياسي والشخصي ، والذي يجب ان يكون انعكاسا للثقافة الثورية الصادقة .. وبمعنى آخر ان التزام الايديولوجي الحقيقي هو تلك العملية الديناميكية المتواصلة التي يشكل فيها التفكير السياسي والتنظير ، والسلوك اليومي وحدة واحدة غير قابلة للتجزئة ، وان اية تجزئة تعني الانفصام بين النظرية والتطبيق ، في هذه الحالة ومهما تكن الثقافة الثورية عالية رفيعة المستوى فانها لن تحول الحزبي الى مناضل ثوري حقيقي . ان كثرة كاثرة من مثقفي مجتمعنا في العراق هم ذوو أفكار تقدمية على اختلاف المدارس والمناهج العقائدية ، ولكن قلة منهم فقط مؤهلون لإداء رسالة المناضل الثوري بكل تبعاتها وتضحياتها . وكثيراً ما نجد مثقفا تقدميا يحمل أفكارا تقدمية عن المرأة على الصعيد النظري ، ولكنه في واقع سلوكه اليومي ، يتصرف خلاف أفكاره ونظرياته شعر بذلك أم لم يشعر .

وكثيرون يجيدون الحديث عن دور الجماهير في التاريخ ، لكن قلة منهم فقط

تتصرف في مسلكها اليومي على هذا الاساس . فهنا لم تصبح النظريات والافكار جزءاً لا يتجزأ من تكوين المناضل متغلغلة فيه لحما ودما ان صح التعبير ، بل نجد النظريات تردد ، والسلوك العام يجري على النقيض منها . ان شجب التقاليد العشائرية ومخلفات القيم الاقطاعية يكاد يكون شاملا بين مثقفي مجتمعنا ، ولكن كم منهم قد تحرر فعلا في سلوكه وتصرفاته من ضغط تلك التقاليد والقيم ؟.

ان اول ما يجب ان ينعكس في تصرفات المناضل وسلوكه انعكاسا طبيعيا دون تكلف واصطناع هو الايمان بالقيمة الانسانية العليا للجماهير الكادحة وبقدراتها وطاقاتها الهائلة الكفيلة وحدها بتحويل تاريخ المجتمع اذا احسن توجيهها واستثمارها . ان المثقف البورجوازي لا يرى من الجماهير غير جوانبها السلبية التي قد تكون كثيرة ، ولكن المثقف الثوري (وكل مناضل) يرى الجوانب الايجابية ايضا ، ويقدرها ، وهو لا يغفل الجوانب السلبية ، بل يشخصها لا من اجل ازدراء الجماهير واحتقارها او الشك فيها ، بل من اجل مكافحة هذه الجوانب بوعي ومثابرة وعلى اساس الاقناع .

ان الفارق النوعي بين البورجوازي والثوري في هذا الصدد ، ان الاول يفهم الجوانب السلبية على انها من طبيعة تكوين الجماهير ، بينما الثاني (اي الثوري) يرفض هذه النظرة الوحشية اللاإنسانية اصلا ، ويدرك عن معرفة وعلم . ان الجماهير هي الضحية الاولى للسلبيات التي تفتك فيها .. وان هذه السلبيات قد التفت على عنقها وكادت تخنقها ، بفعل عوامل تاريخية معروفة ، لعب اعداء الجماهير الدور الرئيس في تكوينها وتطويق الجماهير بها .. وان أخص خصائص الثورة انها وجدت لكي تكون الطبيب المختص في معالجة الجماهير وامراضها . ان نظرات ومواقف ازدراء الجماهير او التعالي عليها ، هي بالضد من النظرية الثورية وعلى نقيض تام مع السلوك النضالي الجيد .

والمناضل الثوري ينظر الى واجباته مثل حقوقه ، ويكون مستعدا لكل تضحية في سبيل نجاح الافكار التي يتبناها ، اما المثقف البورجوازي فانه قد يردد شعارات وبرامج جميلة ولكنه يتعفف عن أبسط تضحية مهما كانت في سبيل تحقيق تلك البرامج والشعارات .

وإذ يتحلل المثقف البورجوازي من كل نظام طاعة وانضباط ويعتبرهما قيودا تكبح فرديته وذاتيته ، وإذ يعتبر نفسه مرجع الكون ، ومحط الصواب ، فان المناضل الثوري الجيد يكون على العكس ، مستعدا دائما لتحمل تبعات النظام والانضباط ، فلا يتيح لنفسه الثرثرة في المقاهي والطرقات ، ونشر الاسرار الحزبية ، والتشهير بزملائه انسياقا وراء شهوة التبجح والمكابرة ، بل يمارس حقه في النقد في اطار تنظيمه ، وينفذ القرارات الحزبية ولو كان رأيه مخالفا لها ما دامت تلك القرارات تمثل ارادة الاكثرية .

ومن اهم صفات المناضل الجيد ان يتصف بالتواضع ، ويتجنب الغرور ، فيقدّر كفاءته كما هي ، ولا يغفل عن نواقصه ، ولا يتجاهل نقاط قوة الآخرين . ان النظرية الثورية على نقيض تام مع الغرور ، والاكتفاء بالذات ، فهي نظرية

متجددة متطورة ، تنبذ القوالب وتستوعب كل جديد في ميادين التجربة والعلم. ان المثقف ذا العقلية البورجوازية يميل في غالب الاحيان الى الغرور ، فيتصور نفسه جماع الحكمة ، ومنبع العلم كله ولا يطيق خلاف الآخرين معه ويستهين بالآخرين . ولكن الثوري الصادق يعلم انه مجرد حبة من حبات رمال بحار الكون، وان حركة شعبية تضم عشرات الآلاف من المناضلين ، وان الجماهير الشعبية فيها طاقات وكفاءات حبيسة ، قادرة على صنع المعجزات ، اذا اخرجت من قيدها . ان الثوري يكون ويجب ان يكون مستعدا للتعلم من ابسط انسان ، ولا يكون موقفه من الجماهير موقف المعلم البيروقراطي ، بل موقف الموجه المتواضع والرفيق والتلميذ في آن واحد . ان الغرور هو سد في وجه تطور الاشخاص والاحزاب والحركات ، يعيق رؤيتها لنواقصها ، واستفادتها من التجارب الثورية الاخرى ومن الجماهير الكادحة .

وطبيعي ان هذه الصفات الثورية الاساسية لا تولد بين عشية وضحاها ، بل تحتاج الى ثقافة والى ممارسة نضالية داخل الحزب الثوري خصوصا وان أغلبية الملاكات السياسية في مجتمعاتنا تأتي من مراتب البورجوازية الصغيرة وتحمل معها الى الساحة الحزبية كثيرا من عادات وصفات هذه المراتب من فردية وأنانية وتردد وغرور ، .. الخ .

ان مهمة الالتزام الايديولوجي الكامل فكرا وسلوكا ، نظرية وتطبيقا ، بالنسبة للمناضل الحزبي هي مهمة مزدوجة ونعني بذلك دور القيادات في التوجيه والتربية والتوعية وفي النقد والمحاسبة ، ودور الاشخاص انفسهم . ان مناضلين حزبيين اثنين قد يعيشان في نفس التنظيم ، ويخضعان لذات التوجيه ، ولكن تطورهما قد يختلف فيتطور احدهما ويتخلف الثاني . فهنا يعتمد الامر على العامل الذاتي ، على الشخص نفسه وقدرته على كبح صفاته السلبية وعلى استيعاب الافكار الثورية وترجمتها للسلوك .

وعند الحديث عن تطور او تخلف او عن الصفات الثورية او السلبية للمناضلين الحزبيين لا يجب بالطبع اسقاط العوامل والظروف الموضوعية التي تتفاعل معهم وتؤثر فيهم : نوعية التنظيم ، نوعية التوجيه الحزبي ، مجال العمل .. الخ .. ولكن اعتبار هذه العوامل والظروف كل شيء هو تقدير غير علمي ، وهو خاطىء تماما ، فهو لا يفسر سر اختلاف تطور المناضلين الذين يعيشون ظروفا موضوعية واحدة بجوانبها الايجابية او السلبية .

ولذلك فان المناضل الحزبي مدعو الى ان يتحمل بجدارة وشرف مهمة تجديد وتقوية بنائه النفسي فكريا وسلوكيا ليستحق اسم ولقب المناضل .

(عام ١٩٧١)

في التثقيف الحزبي [1]

١ ـ أهمية التثقيف الحزبي :

التثقيف الحزبي حاجة لازمة وعامل اساسي في تطوير عمل الحزب، ونشاطه، وتمتين صلاته بالجماهير ، وتمكينه من استيعاب تشابكات الحاضر ، وآفـــاق التطور المقبل للحركة الثورية .

ان التثقيف الحزبي ضرورة ومهمة ثابتة بالنسبة لمجموع الحزب الثوري ، قيادات وقواعد حزبية ، اعضاء وأنصار ومؤيدين . فالنضال الثوري يقف دائما على ظواهر جديدة ويطرح مهمات جديدة ، ذلك ان تعقيدات التطور الموضوعـي للمجتمع ، الذي يجري بصورة مستقلة عن ارادة الحزب (التطورات في التركيب الاجتماعي للمجتمع ، اصطفاف القوى السياسية ، سياسات النظام القائم اذا كان النظام رجعيا او في غير أيدي الحزب ، التطورات السياسية القومية «العربيـــة» والدولية .. الخ) يجلب معه باستمرار ، ويطرح ، مهمات تتطلب الفهم والتحليل واستنباط الاستنتاجات اللازمة منها .

وبتعبير آخر ان الحياة لا تتوقف عند حدود اية نظرية علمية ثوريـــة ، وان العمل الثوري الحي ، هو في الحقيقة : القدرة الابداعية التي تمتلك امكانية تغيير الواقع في ضوء النظرية الثورية ، كما تمتلك اغناء النظرية الثورية وتطويرهـــا باستمرار في ضوء ما تكتشفه من معطيات جديدة في الواقع نفسه . وبالبداهة فان مثل هذا العمل الثوري لا يمكن ان يؤدي فعله بانتظام ، الا اذا مارسته اجهزة ثورية واعية ومناضلة ومجربة ومعدة اعدادا جيدا وحريصة على اغناء مداركهـــا وتثقيف نفسها وتطوير اساليبها باستمرار بشكل يؤهلها لاستشفاف الظواهـــر الجديدة في واقع الحياة والمجتمع ، ويمكّنها من دراسة وتحليل هـــذه الظواهر وايجاد الحلول السياسية والاقتصادية والاجتماعية لها ، مع ما تتطلبه هـــذه الحلول من تحديد المهمات والشعارات والاهداف .

ان النظرية الثورية تغنى وتتعمق وتتطور على اساس التطـــور الاجتماعي ، والنضال الثوري ، وان مستلزمات نجاح الحزب وتحمله مسؤولياته امام الجماهير الكادحة، تتطلب منه ان يعنى لا بصيانة نظريته من التشويه والتحريف البورجوازيين وحسب ، بل باعادة النظر في كل تحليل ، وفي كل مقولة نظريـــة ، يستنفدان نفسيهما ، ولا يعودان مطابقين للواقع الموضوعي وللمهمات الجديدة . فالنظرية توضع لخدمة ثورة الجماهير ، ومن اجل المجتمع الجديد الاشتراكي ، ولذلك لا يجوز التوقف عند مفاهيم ومقولات نظرية تتجاوزها الحياة في مرحلة ما، فالنظرية ليست مجموعة من الصيغ الجامدة بل هي مرشد للنضال ودليل عمل ، وهـــي

---

[1] ـ «الثورة العربية» ، السنة الرابعة ، العدد الثاني .

كالكائن الحي يجب ان تتطور باستمرار .. لكن الحزب لا يستطيع ان ينهض بهذه المهمات الا اذا أعار التثقيف الحزبي اهمية بالغة ، لانه بالتثقيف فقط ، تتنامى مدارك الحزب ، وتزداد طاقة الرؤية لديه .. وبذلك يستطيع مع كل خطوة تقدم جديد في الثقافة ، ان يرى في معضلات الواقع وتناقضاته ، أمورا كانت خافية عليه .. فيتصدى لها ويعالجها .

اما بالنسبة للاعضاء الجدد والتنظيمات القاعدية (وكذلك للمرشحين والانصار والمؤيدين) فان أهمية التثقيف الحزبي تنبثق من واقع حاجة هذه المجموعات الحزبية الى الالمام بالملامح الاساسية لفكر الحزب ، ومراحل نضاله ، واهدافه وخططه الستراتيجية والتاكتيكية ، كما تنبثق من واقع ان كثيرا من الاعضاء الحزبيين الجدد يحملون معهم الى الحزب بعض الصفات والمفاهيم والعادات الغريبة التي تكونت لديهم بفعل محيطهم الاجتماعي وتكوينهم العائلي ، وهي تستدعي المكافحة . فالتثقيف الحزبي هو احدى الادوات الاساسية لمكافحة النفسيات والعقليات الغريبة عن نظرة الحزب وخطه النضالي ، وللتكوين الايديولوجي والخلقي المتين للاعضاء . وبفضل التثقيف الحزبي يستطيع الاعضاء والتنظيمات والهيئات الحزبية استيعاب سياسات الحزب ، وأفكاره ، كشرط لا بد منه للعمل في سبيلها ، ونشرها بين صفوف الجماهير .

وكذلك تنبع أهمية وضرورة التثقيف الحزبي لمجموع الحزب من واقع ان الطبقات والقوى السياسية الرجعية والاستعمارية ، والعناصر الصهيونية وأدواتها ، تعمل دائما لنشر وتسريب مفاهيم وآراء ودعوات مسمومة بين الجماهير لكسر ارادة نضالها ، وتمزيق وحدة كفاحها ، ونشر اللامبالاة واليأس بين صفوفها . وبجوار ذلك تنشر القوى الوطنية الاصلاحية او ذات المنطلقات البورجوازية الصغيرة شعارات او تحليلات او مفاهيم خاطئة تفسد الوعي الثوري العلمي .. اذن .. لا بد من قيام الحزب الثوري بمكافحة مثابرة ، مبرمجة ، واعية وحازمة ، ضد جميع هذه الحملات الفكرية والثقافية التي تسمم وتحرف وتشوه وتشوش ، ولا بد له قبل كل شيء من تسليح اعضائه وتنظيماته في وجه هذه الحملات ، كضمانة اولى لتحصين الجماهير ضدها .. اما اذا تخلى عن هذه المهمة ، او ضعف كفاحه في هذا الميدان فانه يصبح مهددا بالغزو الفكري والثقافي المعادي ، البورجوازي الرجعي او الاصلاحي التحريفي ، وتضعف وحدته الفكرية ، ويصبح مركزا للتيارات الفكرية المتصارعة بعداء وبفوضى ، اي قد يتهدد بالتحول الى منظمة ليبرالية ذات اجنحة وتكتلات ، لانه عندما تتهدد الوحدة الفكرية في الحزب الثوري وتتمزق ، تصبح وحدته التنظيمية ايضا في خطر أكيد .

٢ ـ مجرى التثقيف الحزبي :

ان مواضيع التثقيف الحزبي كثيرة ، غنية وواسعة ومتشعبة ، ويمكن تلخيص اهم ابوابها فيما يلي :

١ ـ التثقيف النظري الصرف، اي دراسة الاسس النظرية للحزب، الفلسفية والاقتصادية بوجه خاص ، وكذلك منطلقاته القومية الاساسية .. ما هي القومية؟

كيف تطور معنى القومية ؟ ما هي القومية العربية ؟ ما هي الوحدة العربية ؟ ما هي الاشتراكية ؟ ما هي الطريقة الجدلية في البحث والتحليل ؟ ماذا تعني الديمقراطية والتحرر الوطني ؟ ماذا تعني الامبريالية ؟ ماذا يعني الاستعمار (كولونيالية) ؟ ما هي الصهيونية وما علاقتها المصيرية بالامبريالية والاستعمار ؟ ماذا نقصد بعلاقات الانتاج وبالقوى الانتاجية ؟ من هي الطبقة العاملة ؟ من هم الفلاحون وهل هم طبقة واحدة ؟ ماذا نعني بالبورجوازية الوطنية ؟ ماذا نعني بالبورجوازية الصغيرة ؟.. الخ . هذه وغيرها من المواضيع تدخل في باب الاسس النظرية للحزب وان استيعابها مستلزم اساسي وجوهري لفهم أفكار الحزب وسياسته ، وللقدرة على تحليل الواقع القطري والقومي والدولي واستخلاص المهمات الحيوية للنضال .

ان المبادىء النظرية العلمية ، والطريقة العلمية في البحث والتحليل تساعد على الغوص في فهم أعقد الامور ، وعلى استنباط الحقيقة من بين سحب التشويش التي تخفيها ، وعلى كشف الجوهر من خضم الامور الفرعية والعرضية التي تطفو على السطح ، وتشخيص المسار الفعلي للتطور الاجتماعي وقوانين هذا التطور .. فالبورجوازية وساستها وتنظيماتها ودعاتها ، يعملون دوما لإخفاء حقيقة ما يريدون وتغطية طبيعتهم الجوهرية وسط عبارات وصياغات وأساليب اعلامية مضللة وغير مباشرة. ان الحزب الثوري باستناده الى الوعي العلمي الثوري يستطيع هتك هذه الاستار والحجب الضبابية والألاعيب الديماغوجية التي تمارسها قوى الاستغلال والاضطهاد ، وكشف حقيقتها للجماهير. ويمنح الوضوح الايديولوجي الحزب الثوري والمناضل الثوري ثقة بالمستقبل رغم مصاعب الحاضر او الانتكاسات ، لانه على يقين من مسار التطور التاريخي ومن حتمية انهيار صروح الظلم ، والاستغلال والعدوان .

ب ــ الدراسات التحليلية الخاصة بطبيعة المجتمع ، وبطبيعة المجتمع العربي عموما : .. ما هي علاقات الانتاج في هذا القطر العربي او ذاك ؟ ما هي طبقاته الاجتماعية الاساسية والثانوية ، التقدمية والرجعية ؟ ما هي أشكال السيطرة والاستثمار الاستعمارية ؟ ما هي أوضاع الخليج العربي وخصائص الوضع فيه ؟ ما هو جوهر الصهيونية وطبيعة اسرائيل ؟ ما هي أبعاد القضية الفلسطينية ؟ ما هي مشاكل الاقليات القومية في الوطن العربي ؟ الخ ..

ويكتسب هذا الباب أهميته الاستثنائية من كونه ميدان تطبيق النظرية العامة على الصعيدين القومي والقطري، فباستخدام المنهج العلمي الجدلي نستطيع ان نحقق التوازن بين النظرية والتطبيق ، ويمتلك الحزب القدرة على بحث وتحليل المشاكل الاساسية التي تميز المجتمع الذي يعمل فيه والوطن الكبير الذي يناضل في سبيل تقدمه ووحدته .

جـ ــ دراسة تحليلات الحزب وتقديراته وشعاراته للاوضاع السياسية المرحلية (الآنية) ومجمل خططه وشعاراته المرحلية في جميع الميادين وعلى الصعيدين القطري والقومي .. ويتطلب ذلك قبل كل شيء دراسة جريدة الحزب المركزية

ونشراته الداخلية ولاسيما الافتتاحيات السياسية التي تصوغ وتحدد ابــرز المهمات الفورية .

د ـ دراسة التجارب الثورية العالمية ، نجاحاتها وإخفاقاتها ، ولاسيما تلك التي لها شبه بتجاربنا الثورية بحكم طبيعة المجتمعــات المتخلفة والسيطـــرة الاستعمارية والتجزئة .

من المهم جدا ، مثلا ، دراسة تجارب الحركات الثورية في الصين ، فيتنام، كوريا ، كوبا ، وتجارب الاحزاب الثورية في القارات الثلاث ، والتركيز على فهم تجربة الثورة الاشتراكية السوفييتية ، لانها اول ثورة اشتراكية ظافرة في العالم وتجربة غنية قلبت موازين القوى في العالم . وتعتبر تجارب التحويل الاشتراكي في الجمهوريات السوفييتية الآسيوية التي كانت شديدة التخلف ، ذات دروس مفيدة للشعوب والامم المكافحة في آسيا وافريقيا بوجه خاص .

ان استيعاب هذه التجارب الكثيرة والكبيرة ليس بالامر السهل طبعا ، ومن المهم ان نعرف ماذا ندرس منها وفقا لحاجاتنا النضالية في كل قطر وفي كــل مرحلة . فمثلا يهم الحزب الثوري وهو خارج السلطة ان يدرس بوجــه خاص اساليب الكفاح الثوري التي استخدمتها تلك الثورات ، واشكال التنظيم التــي اعتمدتها في النضال لقلب سلطة الرجعية والبورجوازية واقامة السلطة الثورية الاشتراكية .. وكما اننا نتعلم من التجارب الناجحة الظافرة ، كذلك فان التجارب الفاشلة والاخفاقات تعلّم وترشد هي الاخرى . فدراسة اسباب وعوامل الردة الفاشية الدموية في اندونيسيا واسباب وعوامل الاخفاقات التي اصابت الحركة الشعبية في ايران ، مثلا ، من شأنها اغناء نظرتنا سواء فيما يتعلق بقضايانــا القومية او بقضايا الثورة العالمية .

اما بالنسبة للحزب الثوري الحاكم ، فان ما يهمه قبل كل شيء هو دراسة واستيعاب تجارب التحويل والبناء الثوريين في المجالات الاقتصادية والاجتماعية والثقافيــة .

والواقع ان ارتباط التثقيف الحزبي بالضرورات النضالية والستراتيجيــة والمرحلية ، هو قاعدة يجب اعتمادها في التثقيف الحزبي عموما وليس في هذا الباب وحده ، فما نحتاجه ليس دراسة اكاديمية صرفة منعزلة عن مهماتنــا وحاجاتنا النضالية الاساسية القطرية والقومية ، بل دراسة حسية ملموســة متعمقة تأخذ بنظر الاعتبار هذه المهمات والحاجات . ولما كانت هذه المهمــات والحاجات تتغير وتتعدل وفقا لتبدل المراحل النضالية ، فان مركز الثقل فــي التثقيف الحزبي يتحول هو الآخر .. ففي مرحلة ما او فترة ما تكون الثقافــة التنظيمية هي الاهم ، وفي مرحلة اخرى تبرز الثقافة الاقتصادية ، وفي اخرى تتصدر مشاكل النضال الداخلي ، او اساليب الكفاح الثوري .. الخ .

هـ ـ دراسة التوصيات والتعليمات والتجارب الخاصة بالاخلاقية الثورية . والتكوين النفسي والخلقي وقوانين واساليب ادارة الصراعات الحزبية الداخلية. .

ووجهة التثقيف في هذا الباب هي اعادة التكوين الحزبي بروح التضحية .

والنفسية الجماعية ، والتواضع ، واحترام الغير ، ورفاقية العلاقات الحزبية ، وتجاوز الاحقاد الصغيرة والتأثيرات الشخصية ، وتجنب المبالغة والتهويل في أخطاء الرفاق ، والتعود على النقد والنقد الذاتي والحرص الدائم على تعزيز وحدة الحزب المبدئية الثورية .. الخ .

٣ ـ أساليب التثقيف الحزبي :

التثقيف الحزبي كما مر هو مهمة دائمة في كل الظروف والاوضاع . اما اساليبه فيمكن ان تختلف وتتنوع ، وفقا لامكانات الحزب الذاتية وظروفه النضالية ، ووفقا لتنوع المستويات الثقافية لاعضاء الحزب. ووفقا لطبيعة المرحلة ومهمات الحزب النضالية .

ويمكن ان نعدد الاساليب التالية في التثقيف الحزبي :

أ ـ أسلوب الاجتماعات التثقيفية الحزبية وسنتناوله في قسم تال من هذا البحث .

ب ـ أسلوب اقامة المدارس او الدورات التثقيفية الحزبية .

ج ـ أسلوب التثقيف الذاتي .

على ان احد هذه الاساليب لا يغني وحده عن الاساليب الاخرى فالاجتماعات الثقافية الحزبية تفسح المجال لاحتكاك الآراء وتبادلها وهي عامل هام في تنمية وتطوير نزعة وملكة التفكير المستقل لدى العضو الحزبي ، والمدارس او الدورات الثقافية الحزبية هي افضل مجال للدراسة المنهجية المنظمة والتفرغ الوقتي لهذه الدراسة . اما التثقيف الذاتي فانه يجب ان يصبح عماد التثقيف الحزبي ولاسيما في ظل الظروف النضالية القاسية . ونعني بالتثقيف الذاتي ان يخصص الحزبي جزءا من وقته اليومي للدراسة الفردية الثورية المتعمقة ، وان يكون شعاره ان يوما يمضي دون قراءة ودراسة ثوريتين هو يوم ناقص الانتاج في حياته وواجبه كمناضل ثوري طليعي مهما كانت أعماله كثيرة وجهوده اليومية لخدمة الحزب كبيرة.

وفي سبيل ان يحقق التثقيف الحزبي بمختلف اساليبه وأشكاله الغايات المطلوبة منه ينبغي :

أ ـ ضمان التخطيط المركزي لعمليات التثقيف الجماعي او الفردي في الحزب ، بأن تصوغ قيادة الحزب برنامجا علميا واقعيا عموميا للتثقيف في هذه الفترة او تلك من فترات النضال ، وأن تقوم هيئات الحزب الاخرى بتطبيق هذا البرنامج تطبيقا حيا كل حسب ظروفها ومهماتها النضالية الخاصة . اي تكييف هذا البرنامج (الخط العام) تكييفا حيا مبدعا حسب تنوع المهمات وتعدد المستويات.

ب ـ ضمان الاشراف القيادي على عمليات التثقيف .. بأن تقدم الهيئات الدنيا تقارير دورية عن نشاطاتها التثقيفية للهيئات العليا . وان يتقدم العضو بتقارير دورية (شفهية او تحريرية) الى منظمته حول دراساته الذاتية وتقديم المنظمة لخلاصة هذه النشاطات الى الهيئات العليا. فليس المطلوب اية قراءة كانت، بل المطلوب حسن اختيار المواضيع وحسن انتقاء المصادر ، واختيار الطرائق الحية في الدراسة ، فالعضو الحزبي والمنظمة الحزبية الدنيا في حاجة مستمرة الى

ارشادات وتوصيات وتوجيهات الهيئات العليا في اختيار المواضيع والمصادر ضماناً للتنسيق الثقافي من جهة ، وتجنبا لتسرب المفاهيم الخاطئة من جهة ثانية . وفي حالة غياب التخطيط والتوجيه والاشراف المركزي يحدث التشويش الثقافي وربما ينتقي الاعضاء كتبا ومصادر ثقافية غير صالحة بل وضارة ، مما يؤدي الى ان تكون الدراسة عملية عكسية في نتائجها .

ج ـ ضرورة تكوين هيئات التثقيف الحزبي على نطاق الحزب ، وأن يكون في كل هيئة حزبية مسؤول تثقيفي متفرغ لشؤون التثقيف في حالة عدم قدرة المسؤول التنظيمي على الجمع بين الناحيتين .. وتكون للحزب هيئة مركزية للتوجيه والتثقيف ترتبط مباشرة بالقيادة العليا .

د ـ اصدار الكراريس الحزبية الثقافية بصورة مثابرة وجعلها مادة اساسية من مواد التثقيف الحزبي .

هـ ـ توفير المكتبات الحزبية على أوسع نطاق ، وحتى في ظل الظروف الارهابية القاسية .

و ـ في حالة نشوء خلافات حزبية داخلية حادة في قضايا فكرية او ستراتيجية خطيرة ، فقد يكون ضروريا في بعض الحالات ، تعريف الحزب كله بوجهات النظر المتصارعة ، وتلخيصها بأمانة للقاعدة الحزبية مع ذكر وجهة نظر الاكثرية ووجهة نظر الاقلية ، وتشجيع مناقشة الآراء على نطاق حزبي عام في اطار اقصى الانضباط الحزبي ، دون اي اخلال بمبادىء الحزب التنظيمية ، شرط ان تبقى هذه المناقشة محصورة داخل الاطار التنظيمي ، وأن لا تنعكس من خلالها صورة سلبية عن الحزب امام الجماهير ، او تعطي لاعداء الحزب سلاحا للنيل منه .

٤ ـ الاجتماعات الثقافية في الحزب :

مهما تكن المنظمة الحزبية ومهما تكن ظروف عملها قاسية ، فان من اهم واجباتها ان تكرس اجتماعات منتظمة للتثقيف الحزبي .. وطبيعي ان الحزب الثوري السري يجابهمصاعب كبرى في هذا الميدان من جراء المطاردات البوليسية التي تؤدي الى فقدان ، او اتلاف ، الكثير من مصادر التثقيف ، وعدم توفر المناخ الطبيعي للدراسة والمناقشة الثقافيتين (مسائل المكان ومسائل الصيانة بوجه عام) الا ان الحرص على تخصيص اجتماع لشؤون التثقيف يظل ضرورة اساسية .

ويعمد احيانا بعض الاعضاء تحت ضغط العمل والمشاكل التنظيمية اليومية الى تحويل الاجتماع الثقافي الى مناسبة لبحث المشاكل ، وهذا خطأ كبير ، فالمشاكل التنظيمية والادارية اليومية لا يمكن ان تنتهي ويجب ان يكون لها اجتماعات مخصصة . ان اهمال التثقيف الحزبي يضعف من القدرات التوجيهية والتعبوية للمنظمة واعضائها ، ويهدد بانتشار النظرة الحرفية الضيقة وعدم القدرة على شرح وتعميم الافكار والشعارات الكبرى للحزب .

اما الحزب الثوري العلني ، ولاسيما اذا كان في السلطة ، فان لديه امكانات واسعةجدا لتنظيم الاجتماعات الثقافيةالحزبيةبصورةاكثر مثابرةوتواترا وعمقا وغنى

في اجواء اكثر تشجيعا على الدراسة والمناقشة وتسهيلا لهما .

ويجب ان يتضمن جدول عمل الاجتماع الثقافي الحزبي نقاطا ثابتة من ابرزها:

أ ـ افتتاحية الجريدة المركزية وبعض موادها الهامة الاخرى اذا سمح الوقت.

ب ـ الاخبار السياسية الهامة ، الداخلية والعربية والدولية .

جـ ـ توجيهات الحزب الخاصة (عادة في النشرات الداخلية) بهذا الميدان او ذاك من ميادين العمل السياسي او الجماهيري حسب مجال اختصاص الهيئة الحزبية المعنية (مكتب العمال يدرس اهم التوجيهات في ميدان العمل النقابي ، مكتب الفلاحين ومكتب الطلبة يدرسان توجيهات الحزب في هذه الميادين .. وهكذا) .

وحين يطرح الحزب للمناقشة الداخلية العامة وثيقة فكرية او ستراتيجية او سياسية هامة فان مادة هذه المناقشة يجب ان تحتل مركز الصدارة في الاجتماعات الثقافية الحزبية .

ومن اجل ان تكون الاجتماعات الثقافية الحزبية مثمرة ، مفيدة ، ينبغي ان تتبع طرائق واساليب حية وشيقة قوامها تشجيع المناقشة وتبادل الراي بدلا من الاعتماد على محاضرة لشخص واحد تستغرق وقت الاجتماع . ويكون ضروريا حيثما امكن ، توزيع جدول عمل الاجتماع الثقافي بصورة مسبقة على اعضاء الهيئة الحزبية وتكليف كل منهم باعداد مادة او جزء من مادة من مواضيع البحث، وطرحها للعرض والمناقشة في الاجتماع . ومن الضروري ان تكون الهيئة الحزبية مستعدة لكل الاسئلة والايضاحات وقادرة على ان تركز على النقاط الهامة اثناء العرض والمناقشة وان تتفادى التكرار الممل وغير النافع كما ينبغي ان تقدم خلاصات واضحة ومكثفة لمناقشتها الثقافية الى الهيئات العليا مع طلب الاجابة على النقاط الغامضة او التي ظلت موضع خلاف . ويكون مفيدا في العديد من الحالات حضور مشرفين حزبيين من الهيئات العليا الى هذه الاجتماعات لتوجيه النقاشات الفكرية وشرح وتفسير بعض النقاط الحيوية الغامضة لدى القاعدة او التأكيد على نقاط اساسية بعينها .

ولا ريب انه لنجاح مهمة الاجتماع الثقافي الحزبي ينبغي للمساهمين فيه ان يتحلوا بروح التواضع ، والتلمذة الثورية ، والشعور بالحاجة للتعلم من الآخرين، وروح احترام آراء الغير ، والقدرة على المناقشة الهادئة الموضوعية والودية . فالاجتماع الثقافي الحزبي ليس منبرا للمساجلات الكلامية ولا ميدانا للمبارزات الثقافية ولا وسيلة ابراز التفوق الشخصي بالنسبة للآخرين او على حسابهم ، كما يفعل عادة المثقفون البورجوازيون حين يتجادلون ويتساجلون على صفحات الصحف والمجلات ، فيتشبث واحدهم برايه ، ويطرح نفسه كالمعلم الاوحد ويستخدم اساليب الحدة والتجريح والتسفيه عند تناول آراء الآخرين . ان الاجتماع الثقافي في حزب ثوري يجب ان يجري في اطار الروح الحزبية وفي نطاق قوانين وقواعد الحياة الداخلية للحزب .. انه اجتماع مدارسة أخوية وتعاون رفاقي جماعي في سبيل مصلحة الحزب والجماهير وليس لاشباع عقدة

الغرور وحب الظهور او الانتقاص من الآخرين .

ونعرض حيا النقاط الاساسية التالية التي تستحق تأكيدا خاصا :

١ – ينبغي ان تكون برامج التثقيف الحزبي التي ترسمها هيئات الحزب عينية سواء للاجتماعات التثقيفية او للدورات التثقيفية ، برامج واقعية ، مدروسة . تأخذ بالحسبان الحاجات النضالية الاساسية ، والمستويات الثقافية المختلفة . وتباين الميادين والواجبات الحزبية . وعموما من الافضل ان تكون برامج قصيرة الامد ، وبذلك نضمن الفائدة وامكانية التنفيذ .

٢ – ان المعرفة البشرية ولاسيما المعارف الثورية ، هي بلا حدود ، لان النضالات القومية والعالمية هي ايضا بلا حدود ، ولأن التطور الاجتماعي والحضاري العالمي هو بلا حدود ، فمهما بلغت ثقافة المناضل مستوى رفيعا فانه يظل في حاجة دائمة الى التعلم وتثقيف نفسه بمعطيات التطور الايديولوجي الثوري وبمعطيات التجربة وعليه ان يعتبر نفسه تلميذا امينا متواضعا في مدرسة الثورة والحياة والفكر البشري المتطور . ان الغرور يقتل القدرة على التطور المستمر .

٣ – ان الثقافة الحزبية السليمة ركن اساسي في تكوين المناضل الجيد . ولكنها غير كافية بحد ذاتها لهذا التكوين ، فهناك مدرسة النضال الثوري العملي وتجاربه الغنية .

٤ – ان الثقافة الحزبية السليمة ليست في ترديد العبارات والشعارات وسرد المعلومات الواسعة والاقتباسات الكثيرة من الكتب الثورية ، ولا حتى في حفظ مئات المصادر العلمية الثورية عن ظهر قلب ، انها تعني هضما واستيعابا حيا للعلم النظري ولافكار الحزب ومنطلقاته ومبادئه الستراتيجية ، والتفهم العلمي الكافي والعميق للمشاكل الاساسية في المجتمع ، ولطبيعة المراحل النضالية ولقوانين التطور الوطني والقومي ، ولطبيعة القوى المعادية للثورة وطبيعة قوى الثورة وحلفائها .. الخ . وبعبارة اخرى ، ان تكون ثقافة حية ، متجددة ، متفتحة، تجسد تطبيق العلم النظري على المستلزمات النضالية التي تجابه الحزب.

٥ – ان الثقافة الحزبية السليمة هي التي تنطلق من فهم عميق لتراث الحزب ومن حرص على تمثل مراحل تطور نضاله ومن انفتاح دائم على التراث النضالي العالمي ، وتفاعل مستمر مع التجارب الثورية الجديدة .

(عام ١٩٧٢)

سلبيات التثقيف الذاتي وكيفية معالجتها [1]

لقد أكد حزبنا باستمرار اهمية التثقيف الذاتي ، وحث عليه جميع اعضائه وأنصاره ومؤيديه. ذلك ان وسائل التثقيف الجماعي داخل الجهاز الحزبي (الاجتماعات ، الندوات ، الدورات) لا تكفي لتثقيفهم وتطوير ثقافتهم بما يوازي طموحات الحزب الثقافية . فهذه الطموحات ضخمة ضخامة المهمات التي يتصدى لها والاهداف التي يسعى الى تحقيقها ، ووسائل التثقيف الجماعي على أهميتها ودورها الاساسي تبقى محدودة الاثر . ومن هنا كان لا بد من الاهتمام بالتثقيف الذاتي والحث عليه .

ان التثقيف الذاتي ، كما هو معروف ، يتضمن جانبين :

الاول : جانب الاستزادة من الثقافة الحزبية من خلال الجهود الاضافية التي يخصصها المناضلون لدراسة واستيعاب ايديولوجية الحزب وتراثه الفكري والنضالي .

الثاني : جانب الاستزادة من الثقافة العامة في ميادين السياسة والاقتصاد والتاريخ والادب والفن وما الى ذلك مما يوسع دائرة معارف المناضلين ويجعلهم أكفاء وأقدر على أداء مهماتهم النضالية .

وعلى الرغم من اهمية ما يحققه التثقيف الذاتي في هذين الجانبين ، وما يمكن ان يعطيه من نتائج ايجابية ، الا ان ثمة مخاطر ترافقه لا بد من ان نحذر منها ونحتاط لها . ذلك ان القدرة على الفهم والاستيعاب والنقد والمحاكمة تختلف من مناضل الى آخر ، الامر الذي يوقع كثيرا من المناضلين في درجات مختلفة من الخطأ والتشتت ، وهذا مما يزيد كفاحنا الايديولوجي صعوبةوتعقيدا.

***

ان دراسة ايديولوجية الحزب وتراثه الفكري والنضالي دراسة خاصة ، اي خارج حدود المنظمة الحزبية ، ليست بالعملية السهلة المضمونة النتائج ، بل هي عملية صعبة وتكون مقرونة ـ شئنا أم أبينا ـ ببعض النتائج السلبية . وكثيرا ما تقود هذه العملية الى سقطات واخطاء فكرية وبخاصة في المراحل الاولى من الانتماء الحزبي ، حيث تكون البنى الثقافية للحزبيين ضعيفة وهشة ومهيأة للجنوح . ومن هذه السقطات :

١ ـ سوء تفسير النصوص الحزبية وسوء الاجتهاد فيها او في شرحها نتيجة لسوء فهمها واستيعابها .

---

١ ـ «الثورة العربية» ، السنة الرابعة ، العدد الاول .

٢ ـ الانقياد للنصوص انقيادا حرفيا لا واعيا والتشبث بها تشبثا دوغماتيا متزمتا يبلغ حد التمسك بالجانب الانشائي فيها ، وذلك بدافع الاعجاب المثالي بفكر الحزب والاخلاص المطلق له .

٣ ـ الارتجال السهل السطحي مع النصوص ودون الغوص فيها واستيعاب جوهرها بدافع من الارتجال والعفوية وربما الاستسهال .

٤ ـ تجريد النصوص من قيمتها التطبيقية والموضوعية وعزلها عن ظروفها الزمانية والمكانية .

ان هذه السقطات قد تحدث ضمن اطار التثقيف الجماعي ايضا ، ولكن هذا الاطار يظل اكثر أمانا ، بسبب ما يتيحه من حوار ومناقشة تتكشف خلالهما السقطات وتتضح مستويات الفهم والاستيعاب .

***

اما في مجال الاستزادة من الثقافة العامة فان السقطات الفكرية تكون اكثر احتمالا واكبر خطرا ، وبخاصة لدى المثقفين الذين ينحدرون في الغالب من أصول برجوازية صغيرة ذلك لان ميادين الثقافة العامة واسعة ومليئة بالافكار التي تتناقض وفكر الحزب او التي تستطيع التسلل اليه ، ولأن كثيرا من هذه الافكار يحمل معه مغرياته وقدراته على التأثير طوعا او عفوا .

وفي هذا المجال يمكن ان تحدث السقطات التالية :

١ ـ التأثر بالايديولوجيات والافكار البرجوازية والرجعية ، بخاصة وان هذه الايديولوجيات والافكار ما زالت تمتلك مبرر وجودها على صعيد الواقع المادي للمجتمع بسبب تركيبه الطبقي الراهن .

٢ ـ النقل الببغاوي للخبرات والموضوعات الفكرية التي طرحتها التجارب الثورية المتقدمة بدافع الفهم الثقافي ونتيجة الاحساس بالحاجة الى أجوبة على بعض التساؤلات الفكرية التي تجابهنا .

٣ ـ الاستهانة ببعض جوانب تراث الحزب الفكري والتعالي عليها نتيجة التشبع بالثقافات النظرية المجردةوالجهل بالقيمة الموضوعية للجوانب المستهانبها.

٤ ـ التشوش والخلط نتيجة عدم تنظيم وبرمجة القراءات .

على ان مقاومة النتائج السلبية للتثقيف الذاتي عملية شائكة ومعقدة ، وليس ثمة سبيل للنهوض بها الا بالجهود المشتركة والمتكاملة التي تبذلها جميع الاطراف التي يعنيها الامر .

أن اول الاطراف التي تعنيها مقاومة النتائج السلبية للتثقيف الذاتي هي الحزب ولاسيما مكتبه الثقافي القومي ، وذلك :

١ ـ بالتأكيد على عملية الكفاح الايديولوجي والحفاظ على جدية هذه العملية واستمراريتها ورصد الامراض والاخطاء الفكرية الشائعة في صفوف الحزبيين ومعالجتها وتصفية كل بادرة انحرافية ، وبخاصة تلك التي تمتلك القدرة على

النمو والاتساع والتي تهدد بشكل او بآخر وحدة الحزب الفكرية والتنظيمية .

٢ ـ برمجة عملية التثقيف الحزبي وتنظيمها وجعلها عملية مواكبة للتساؤلات الفكرية التي تطرحها كل مرحلة من مراحل نضال الحزب على المستويين القومي والقطري .

٣ ـ توفير ادبيات الحزب وتيسير عملية ايصالها الى الحزبيين ، لكي لا يضطر الحزبيون الى البحث عن أجوبة على تساؤلاتهم الفكرية خارج هذه الادبيات.

٤ ـ العمل المستمر على اغناء فكر الحزب وتطويره واستيعاب التجارب والخبرات الثورية التي تنشأ في الوطن العربي والعالم والاستفادة منها .

وعمليا فان الحزب يدرك ما ورد في النقاط الاربع المتقدمة ادراكا تاما ، وهو جاد في تحقيقه . ومع ان ما تحقق منه ما زال محدودا . الا ان الجهود المبذولة في هذا المجال متواصلة وجدية .

اما ثاني الاطراف التي يعنيها الامر فهي المنظمة الحزبية المختصة . والواقع ان المنظمة الحزبية هي اكثر الاطراف قدرة وأوسعها فرصة لمقاومة النتائج السلبية لعملية التثقيف الذاتي ، وذلك بحكم صلتها الوثيقة بالمناضلين العاملين فيها ، وبحكم مسؤوليتها المباشرة عن تنفيذ البرامج الثقافية التي يعدها الحزب . ومن هنا فان المنظمة الحزبية تتحمل القسط الاكبر والأهم من هذا الواجب .

ان اهم ما تستطيع القيام به المنظمة الحزبية في هذا المجال هو :

١ ـ الاهتمام بعملية التثقيف في الاجتماعات والندوات والدورات والتأكيد على أهمية المشاركة الجماعية في عملية التثقيف ، فذلك يساعد على اكتشاف الاخطاء والانحرافات ويتيح افضل المناخات لمناقشتها ونقدها ومعالجتها .

٢ ـ متابعة المناضلين في قراءاتهم الخاصة لمعرفة نوعية هذه القراءات واتجاهاتها ، وهذا واجب لا يصح اغفاله او التهاون فيه .

٣ ـ التعاون مع المناضلين في اختيار مطالعاتهم وتوجيه هذه المطالعات وجهات ايجابية .

٤ ـ ايقاظ الحاسة النقدية لدى المناضلين وتعويدهم على النقاش والاخذ والرد وشجب الاستسلام المطلق للنصوص والتشبث بها تشبثا عبوديا .

***

واما الطرف الثالث الذي يعنيه الامر ، فهو المناضل الحزبي نفسه .

وربما كان المناضل اكثر قدرة على مقاومة النتائج السلبية للتثقيف الذاتي فيما لو ادرك ان ظهور مثل هذه النتائج مسألة ممكنة وطبيعية، وفيما لو جدّ في مقاومتها وعرف كيف ينبغي ان تقاوم .

فعلى صعيد فكر الحزب يستطيع المناضل :

١ ـ ان يضع نصب عينيه ان متابعة نشريات الحزب هو احد اهم الطرق للقيام بدراسة منهجية لفكر الحزب ورغبة اكيدة في استيعابه وربما اغنائه

وتطويره (١) .

٢ ـ ان يشارك بجد وحيوية وانفتاح في طرح ومناقشة المسائل الثقافية في الاجتماعات والندوات وان يتوقع لنفسه الخطأ ويستعد للنقد والتصويب .

٣ ـ ان يميز بين ما هو رأي حزبي ناقشته واقرته مؤتمرات الحزب ، وبين ما هو اجتهاد . وان يحاول جهده للاسهام في اغناء فكر الحزب ، وأن يتعامل مع المسائل الفكرية بموجب هذا التمييز .

٤ ـ ان يسهم بما يملك من قدرات فكرية في تطوير واغناء فكر الحزب انطلاقاً من منابعه الاصيلة وقواعده الاساسية .

اما على صعيد المطالعات الخاصة (خارج فكر الحزب) فان على المناضل :

أ ـ ان يعي حقيقة ان هذه المطالعات يمكن ان تترك فيه تأثيرات سلبية لا واعية . وانه بالتالي مطالب بهضم فكر الحزب قبل الوثوق بحصيلة مطالعاته الخاصة .

ب ـ ان ينطلق في تقييمه لحصيلة مطالعاته من موقف نقدي مدقق وصارم ليتبين مدى الانسجام بين هذه الحصيلة وبين فكر الحزب .

ج ـ ان يكون جريئا في طرح هذه الحصيلة داخل المنظمة الحزبية بغية مناقشتها والتثبت من أهميتها وسلامتها .

***

وبعد فان تشخيص عملية التثقيف الذاتي ومعالجتها بحرص وجدية هو احد المستلزمات الاساسية للكفاح الايديولوجي في صفوف الحزب . غير ان الحديث عن هذه السلبيات والدعوة الى تشخيصها ومعالجتها ينبغي ألا يدفعنا الى التطير من عملية التثقيف الذاتي نفسها ، بخاصة وان فكر الحزب يملك من أصالته ورسوخه أمتن المناعات وأقواها .

(ايار ١٩٧٢)

---

١ ـ لقد حدد موضوع (الدراسة المنهجية لفكر الحزب) ، المنشور في العددين التاسع والعاشر ـ السنة الثالثة ـ ١٩٧٢ أصول الدراسة المنهجية التي ينبغي ان يراعيها المناضل عند دراسته لفكر الحزب .

الدراسة المنهجية لفكر الحزب[1]

عندما نادى احد مفكري اليسار الجديد المعاصرين (لوي التوسير) بضرورة العودة الى قراءة معمقة جديدة لكارل ماركس من خلال كتابه «رأس المال» ، كان يقصد بأن ماركس الحقيقي قد ضاع بين القراءات الجامدة الرديئة وبين الشروح السطحية التي لم تنفذ الى الدفين العميق من الافكار لديه . الامر الذي أدى في رأي (التوسير) الى نشوء فراغ نظري كبير في الماركسية يتطلب عودة نقدية جريئة ومنهجية لدراسة ماركس من جديد وانقاذه من القراءات والشروح الميتة ، واعادة الحياة والحيوية والابداع للفكر الماركسي .

ونحن على صعيد الايديولوجية العربية الثورية لا بد لنا ايضا من ان ننقذ فكر الحزب من القراءات العفوية والسطحية واللفظية والجزئيه ومن الانطباعات والتفسيرات والشروح التي تفتقر الى الموضوعية والعمق والشمول ، البعيدة عن النظرة العلمية وعن القواعد المنهجية للقراءة وللدراسة المطلوبة لفهم فكر الحزب وتمثله والتفاعل معه تفاعلا مبدعا مغنيا ذكيا نقديا وجريئا .

ان القراءة المنهجية تتطلب مراعاة جملة شروط يمكن ان نوجزها فيما يلي :

١ ـ الانتباه الى الظروف الزمانية والمكانية للنصوص الحزبية :

ذلك ان اهمال هذا الشرط وعدم التوقف عنده يحرم القارىء من ميزة التحديد للسياق التاريخي والظرفي الذي يلقي الضوء الاول على معنى النص ، (سواء كان حديثا او مقالة او دراسة ...) كما انه يبعد القارىء عن فهم طبيعة السؤال الذي جاء النص جوابا عليه .

فالاحاديث والكتابات الحزبية التي تشكل تراث الحزب الفكري الاساسي ، لم تكتب في معزل عن المعاناة النضالية ، بل كانت جزءا صميميا من هذه المعاناة نفسها . فهي بمثابة معالجة متجددة ودائمة للمشكلات التي يطرحها واقع النضال ومتطلباته ، وعلى هذا الاساس فان الرجوع الى الجو الذي كتبت فيه النصوص الحزبية ، هو المدخل الطبيعي الى التفاعل معها ، لان الاطارين الزماني والمكاني يكسبان النص حياة وينقذانه من التجريد ، ونحن نعلم ان فكر الحزب قد شدد منذ البداية على محاربة الفكر المجرد المعزول عن التجربة الحية الخلاقة . لذلك فاننا نظلم فكر الحزب ظلما كبيرا عندما نتجاهل الظروف الزمانية والمكانية للنصوص المعبرة عنه لاننا ننقله عندئذ من مستواه الحقيقي كفكر ثوري معجون بالنضال غير منفصل عن الحدث الثوري ، وننحدر به الى مستوى الفكر المجرد المعزول عن حركة النضال الحي .

وعلى سبيل المثال ، نذكر احدى المقالات الهامة التي كتبها مؤسس الحزب

---

١ ـ «الثورة العربية» ، السنة الثالثة ، العددان التاسع والعاشر .

وامينه العام الرفيق ميشيل عفلق في شباط ١٩٥٣ ، فقد كتبت هذه المقالة التي تحمل عنوان (ثورية الوحدة العربية) في بيروت عندما كان بعض قادة الحزب قد لجؤوا الى لبنان بعد ان اشتد صراع الحزب مع ديكتاتوريـــة اديب الشيشكلي . وكان الحزب قد دخل في مرحلة جديدة بعد الدمج الذي تم مع الحزب العربـي الاشتراكي .

وقد كتبت هذه المقالة التي اشرنا اليها ردا على المنطق الوحدوي السطحي ، وتحت ضغط الشعور بالخطر على الميزة الاساسية التي تميز فكر الحزب ، وهي وحدويته ، وتحت الشعور بالحاجة الى مزيد من التوضيح للمفهوم الثوري الجديد للوحدة الذي تميزت به ايديولوجية الحزب .

فاذا لم نأخذ بعين الاعتبار هذا الاطار الزماني ـ المكاني لهذه المقالة انحجبت عنا المبررات والدوافع الاساسية التي دفعت اليها والى التشديد والتركيز فـي داخلها على (عقلية الوحدة) وعلى (نظرية الوحدة) ، والى التمييز بين نظرة الحزب الى الوحدة والنظرات المشوهة للوحدة ولمفهومها الثوري الجديد .

٢ ـ الانتباه الى العلاقة الداخلية بين النص وبين المؤلف :

ثم ان الدراسة المنهجية تتطلب فهما مسبقا لعلاقة العمل الفكري بالمؤلف ، فنحن لا نستطيع ان نفهم النصوص فهما داخليا الا اذا مارسنا كقراء نوعا مـن المشاركة للمؤلف في عملية انضاج وانتاج الافكار التي جاءت في دراسته الحديثة ذلك ان هناك فرقا كبيرا بين فكر الحزب الذي هو نتيجة معاناة نضاليـــة وبين المؤلفات الفكرية التي هي حصيلة عمل فكري مستقل عن التجربة . ان فكر الحزب لم يكتب وراء المكاتب ولم يكن نتيجة تأمل منطلق من معطيات نظرية بحت ، ولا سعيا وراء متعة فكرية خالصة بل انه تكثيف لتجربة فكرية وعملية لا يمكن ان تفهم من الداخل الا اذا وقف القارىء منها ولو بشكل مصغر ، نفس الموقف الذي وقفه المفكر المبدع الذي صاغها عبارات وكلمات ونصوص مقروءة ، فعندما نقرأ احاديث القائد المؤسس مثلا لا بد ان تكون ماثلة أمامنا بوضوح تجربة القائد المؤسس بكل ما فيها من عمق وأصالة وعطاء والتحام بتجربة الامة وتفاعل عميق مع اهدافهـا وتطلعاتها وخط نضالها ، والتحام بقوانين تطورها الداخلي في هذه المرحلـــة التاريخية ، ومن تجرد يصل الى حد الشفافية في رؤية الحقيقة والجرأة الدائمة على التمسك بها والدفاع عنها . ثم ان للرفيق المؤسس أسلوبـــا خاصا متميزا فريدا يتمثل في الاحاديث التي تأخذ شكل حوار داخلي مع النفس ومع الامة تلك الاحاديث التي تتسم بالتركيز الفكري والتكثيف والعبارة المشرقـــة ، لقد كانت أفكار الحزب دوما اشبه بالاسلحة تقارع الافكار والنظريات والآراء المنحرفـــة والمناقضة والمشوهة للفكر العربي الثوري الحديث . كما كانت وما تزال جهـــدا دائما لتعيين وتأشير الطريق الثوري العلمي لمسيرة الامة العربية .

فاذا لم يعش القارىء جو هذا الصراع وحرارته وحيويته لا يمكن ان تكون قراءته للنصوص الفكرية التي يتكون منها التراث الحزبي قراءة منهجية سليمة .

ان الفكر الثوري والنتاج الفكري الذي تلده التجربة الثورية بوجه عام ، هو

أقرب ما يكون الى العمل الفني ، ان الثائر هو بطبيعة عمله ودوره ، فنان يمارس فن اعادة بناء المجتمع الذي يعيش فيه . كذلك فان النصوص الثورية ، هي اشبه ما تكون بلوحات فنية قد لا تستوعب أبعادها بمجرد الرؤية المباشرة ، لانها اقرب الى ان تكون (معادلة) من ان تكون (صورة) ، انها انعكاس لشخصية المؤلف اكثر منها تجسيد لإحساساته . وهي (تلخيص) لكل تجربته اكثر منها (مظهر) من مظاهر هذه التجربة .

لذلك فان القراءة الداخلية تضع القارىء بتماس وتفاعل مباشر مع فكر المؤلف وتجربته ، وهي وحدها القراءة الكاشفة عما وراء الكلمات من غليان نفسي حقيقي ومن أفكار ومن توتر داخلي قد لا تعكسه العبارة ولا تترجمه الكلمات لدى القراءة العابرة .

٣ ـ التنبه الى طبيعة العلاقة بين النص والقارىء :

فالقراءة المنهجية لا تغفل عن التنبه الى حقيقة أولية ، وهي ان القارىء قد يسقط ذاته على النص المقروء فلا يخرج منه الا بانطباعات ذاتية متفوقة في الجهل لحقيقة النص ، ذلك لان طبيعة العلاقة بين النص وبين القارىء تسمح بهذا التسرب للافكار المسبقة والآراء والانطباعات والمواقف التي تعكس مستوى الفهم والرؤية والنزاهة والتجرد .

فكما ان الاكتفاء بالقراءة الخارجية السطحية تضعف القدرة على تمثل النتاج الثوري ، كذلك بالمقابل ، فان تكوين الانطباعات القبلية من شأنه ان يقتل الموضوعية وان يفسد القراءة ويضلل عن الحقيقة .

لذلك فان السماح لإنفعالات المحبة او الكراهية المفرطة ، وتدخل الاغراض والمصالح ، لا بد ان يحطم منهجية القراءة للنصوص .

هذا بالاضافة الى ان مستوى الثقافة والوعي والتجربة يلعب دورا في علاقة القارىء بالنص ويحدد درجة الاستيعاب والتفاعل والفهم للافكار وللأبعاد وللنظريات التي ينطوي عليها .

فالقراءة المنهجية هي التي تحاول ان تستبعد المؤثرات السلبية التي يمكن ان تأتي من تدخل عوامل ذاتية من شأنها ان تقلل او ان تشوه او تفسد قراءة الفكر الحزبي . وهي التي تستعين بمصادر المعرفة الموثوقة على الصعوبات التي قد تقف في وجه القارىء والدارس . ومن هنا كانت أهمية التربية الحزبية والتثقيف الحزبي وأهمية ممارسة النقد الذاتي كعادة فكرية وسلوكية ، واهمية التحلي بالصفة الموضوعية وبأفضلية الاخلاص للحقيقة . وكذلك اهمية مدارس الاعداد الحزبي في الوصول بالمناضل الى مستوى القدرة على القراءة المنهجية لفكر الحزب.

٤ ـ النظرة الكلية الى النص :

ان ادراك الاشياء واستيعاب النصوص يتم حسب قواعد سيكولوجية محددة. فعلم النفس يكشف عن ان عملية الادراك هذه تبدأ بنظرة اجمالية تركيبية غامضة. ثم تبدأ مرحلة جديدة ، وهي المرحلة التحليلية التي تنقل الادراك من المستوى الاول الى مستوى جديد فتصبح النظرة الى النص بعدها نظرة تركيبية واضحة

ومحددة .

ومن المؤسف ان كثيرا من القراءات تتوقف عند المستوى الاول فلا تتجاوزه . هذا من جهة . ومن جهة ثانية ، فان بعض القراءات تفتقر حتى الى النظرة الكلية غامضة وتكتفي بنظرة جزئية الى النص . علما بأن المقصود بالنظرة الكلية الى النص عدم الاكتفاء حتى بالافكار الواردة فيها ، لان فهم هذه الافكار على حقيقتها امر يحتاج الى عملية ربط للنص بمجموعة النصوص الاخرى ، ومن الظلم للمؤلف ان نقتصر في فهم فكرته على نص واحد من نصوصه ، فلا بد اذن من قراءة مجموع الدراسة لتكوين انطباع أولي عنها ثم قراءة فصولها وموضوعاتها بشكل تفصيلي وتحليلي . ثم قراءة الدراسة مجددا حتى تكتمل النظرة التركيبية الواضحة الجلية المطلوبة .

ان هذه المنهجية في دراسة النص قد كانت اساسا اعتمدته الثورة الثقافية في الصين لاعادة الصلة الحية بين المناضلين وبين فكرتهم ، وحتى يكون استيعاب الجماهير لهذه الفكرة نتيجة طبيعية وحتمية لاستيعاب الطليعة الثورية لها . ومن اجل ان تدخل الفكرة الى حياتهم فترفعها باستمرار الى المستوى التاريخي للثورة وتحول دون انجذاب المناضلين الى مغريات الواقع وسهولة التلاؤم مع الاوضاع المتكلسة التي تجمد روح الثورة وتقضي على اندفاعتها .

ان قراءة فكر الحزب ليست كقراءة القصص والصحف . فهي ليست عملية استهلاكية ظرفية قابرة . بل هي عملية انتاجية ثابتة ومستمرة . فليس كالتفاعل الدائم مع الفكرة ما يحصن المناضل امام الضعف الذي يمكن ان يتردى اليه نتيجة تلاؤمه مع ظروف سطحية سهلة ومغرية .

وقد علمتنا تجربة الثورة الثقافية في الصين ان قراءة التراث الثوري عشرات المرات هي الطريقة الوحيدة للابقاء على الصلة الحية بين الفكرة وبين المناضلين .

٥ ـ النظرة التحليلية الى النص :

لا يكفي ان نكرر قراءة النص عدة مرات حتى نضمن الالمام بكل ما ينطوي عليه من أفكار رئيسية ، فالفهم العميق لا يتوقف على عامل تكرار القراءة وحده ، بل لا بد من الاعتماد على العامل المكمل والمتمم ، وهو عنصر التحليل للنص . فالشيء الهام هو النفاذ الى ما وراء العبارة وما وراء الالفاظ من مقدمات ونتائج ، من ملاحظات وفرضيات ، من محاكمات وبراهين ، من تحديد للظواهر ومن كشف عن أصولها وعن طابعها وعن احتمالاتها وعوامل ضبطها وتوجيهها ، واخيرا من تصنيف للعوامل الذاتية والموضوعية التي تكوّنها ، ومن توضيح للسلسلة المترابطة التي تشكل تلك الظواهر جزءا منها .

ان النظرة التحليلية هي شرط الوضوح في الفهم والدقة في الاستنتاج والنفاذ الى الخلفية الفكرية التي تكمن في النص . وهي شرط التفاعل الحقيقي المبدع مع العمل الفكري . وهي الجانب الأهم من العملية المنهجية للدراسة المعمقة للتراث الحزبي .

لقد ولد فكر الحزب في قلب المعاناة النضالية . ولا يمكن ان يفهم الا على ضوء ربط نصوصه بالتحليل الموضوعي للواقع العربي ولتطور الحياة العربية عبر المراحل التي رافقت نشوء الحزب ؛ فالخطأ الكبير الذي يمكن ان يتسرب الى نظرة الرفيق المناضل الذي يطالع فكر الحزب والذي قد يقوده الى الانحراف ، يكمن في وهم مزدوج :

أ ـ وهم المبالغة في اهمية ماضي الحزب بالدرجة التي يتضاءل معها دور الرفيق ويضعف شعوره بالمسؤولية عن المستقبل . وعندئذ تكون علاقته بفكر الحزب علاقة عاطفية تعطل القدرة على التحليل الموضوعي .

ب ـ وهم المبالغة في الدور الفردي واعتبار تاريخ الحزب انما يبدأ مع دخوله الحزب . وعندئذ تختل المقاييس وتنتفي الصميمية في علاقة الرفيق بفكر الحزب ، وتبقى علاقته به سطحية اي تبقى في حدود الانطباعات التركيبية الغامضة دون ان يملك القدرة على التحليل الهادىء الرصين والعميق لفكر الحزب.

وهكذا فان شرط النظرة التحليلية هي عمق التجربة النضالية للعضو الحزبي. لأن المناضل الحقيقي سوف يشعر بالحاجة دوما الى العودة الى فكر الحزب والى تحليل نصوصه لاكتشاف ما يساعده على تعميق نضاله وتوفير النجاح لهذا النضال . وبالتالي الى استطلاع تاريخ الحزب ومراحل تطوره ورصيد العلاقة الداخلية بين مواقفه وبين أفكاره وبين حاجات المرحلة التاريخية العربية .

ان اكتشاف القوانين هو هدف النظرة التحليلية دوما . وقد كانت الميزة الاساسية الاولى لحزبنا هو اكتشافه لقوانين المرحلة العربية الثورية الراهنة . فلا بد اذن لدراسة فكر الحزب دراسة منهجية من كشف هذه العلاقة بين أفكار الوحدة والحرية والاشتراكية من جهة وبين نظرية الحزب والواقع النضالي العربي من جهة اخرى . وذلك لا يمكن ان يعرف الا عن طريق النظرة التحليلية .

٦ ـ النظرة النقدية الى النص :

لقد تميز حزبنا بممارسته الجريئة والنزيهة للنقد الذاتي تعبيرا منه عن الثقة بالنفس وعن الحرص على التطوير الدائم المنطلق من مواقفه الثورية . فالذي يقرأ مقالات الرفيق ميشيل عفلق «نظرتنا الحية الى الحزب» ، «الدور التاريخي لحركة البعث» ، «علاقة التنظيم بالعمل الانقلابي» ، «قضية الدين في البعث العربي» المنشورة في كتاب (في سبيل البعث) ، ومعظم المقالات المنشورة في كتاب (نقطة البداية) يلاحظ بوضوح كامل ، ان ممارسة النقد الذاتي قد كانت سمة مميزة لحزبنا ، وكانت عاملا في انقاذ الحزب من امراض الجمود المذهبي والتعصب والانغلاق الفكري والغرور والمكابرة ومجانبة الحقيقة . بل ان الصفة المميزة لفكر الحزب كانت دوما هي التمسك بالثقة وبالروح العلمية الموضوعية ورفض الاساليب اللاأخلاقية في العلاقات بين الوسيلة والغاية .

فالتمسك بالمقاييس الثورية ضمن اطار الفضائل النضالية والقيم الانسانية الحضارية وعدم الاستسلام الى منطق التبرير ومنطق النجاح غير المستند على القيم الثورية ورفض منطق الحسابات اللاثورية القائمة على المقاييس السياسية

التي تكتفي بموازنة بين الربح والخسارة .. كل هذه المزايا النضالية التي يتمسك بها الحزب كانت وراء حرصه على تقييم خطواته وتقويمها والجراة في التصدي لمواضع الضعف والاخلاص في تقييم الاخطاء التي هي جزء طبيعي من العمل النضالي.

ان هذه الروح التي سادت العمل الحزبي والتي تجعل القاعدة الحزبية دوما متمسكة بمبدئيتها . هي نفسها التي تدفعها ايضا الى التمسك دوما بنظرة نقدية عميقة جذرية تجعل علاقتها بفكر الحزب علاقة تفاعل صميمي عميق، مبدع وفعال.

وعلى هذا الاساس فان النظرة النقدية الى النصوص الحزبية تشكل جزءا من منهجية القراءة والدراسة لفكر الحزب . فالنظرة النقدية تجعل المناضل في موضع اليقظة الدائمة والحركة الذهنية والقدرة على المقارنة مع الافكار الاخرى وفي وضع الحوار والمناقشة مع النص كما لو ان المؤلف نفسه يتحدث معه .

ومن الخطأ ان نفهم بالنظرة النقدية ، شيئا آخر غير هذا التفاعل الفعال ، فالنقد لا يعني السلبية كما هو مألوف وشائع ، بل هو القدرة على التمييز والتمحيص والتفريق بين الافكار الاساسية والثانوية ، بين الافكار الام والافكار المشتقة .

ان النظرة النقدية هي احدى الاساليب المنهجية المساعدة على تكوين فكر المناضل تكوينا ثوريا صحيحا بعيدا عن التقليد الآلي وعن اللفظية وعن الانفعالية وعن الاجترار العقيم لما يكتب في الحزب وهي التي تزوده بحس متنام بقيمه الحقيقية ، وتساعده على اكتشاف التزوير والتشويه للافكار والمواقف ، وتجعله في مستوى نضالي يجمع التواضع وحب الحقيقة والطموح الدائم الى استكمال النواقص جنبا الى جنب مع الجراة في مواجهة الانحراف والخلل ومع القدرة على ممارسة النقد الذاتي ومعرفة المسافة الحقيقية بين ثقافته وبين فكر الحزب ، وادراك ميزة فكر الحزب على الايديولوجيات المطروحة في هذه المرحلة وفي هذا العصر .

٧ ـ الدراسة الموجهة :

ان قراءة المناضل للتراث الثوري لا يمكن ان تكون غاية في ذاتها . فالثقة الفكرية واللذة العقلية هما نتيجة طبيعية للانسجام الذي يحدث بين المناضل وبين الفكر الثوري موضوع القراءة . ولكن المناضل لا ينشد هذه الثقة لذاتها ولا يكتفي بالعلاقة الذاتية بينه وبين النصوص الثورية ، بل ان دراسة الفكر الثوري تشكل حاجة نضالية بالنسبة الى المناضل . فهي اشبه بالحاجة الغذائية التي يقصد من اروائها سد نقص عضوي وبناء الجسم وتزويده بالطاقة اللازمة للعمل والانتاج وخلق الحالة النفسية اللازمة للابداع ولتوجيه الجسم وتنظيم فعاليته ومضاعفة مردوده .

كذلك فان الثقافة الثورية تشكل مادة حيوية بالنسبة الى التنظيم الثوري والعمل الثوري وطاقة اساسية لكليهما ولضمان سلامة مردودهما ، ولمعالجة اخطائهما وادراك مواضع الخلل والنقص في مسيرتهما وتصحيح نهجهما وتخطيط مراحل كل منهما .

ومن هذه الزاوية فان مسؤولية المناضل امام التراث الحزبي هي مسؤولية مزدوجة .

فهو من جهة ، مسؤول عن الالمام والفهم الدقيق والعميق لفكر الحزب . وهو من جهة ثانية مسؤول عن وضع هذه القراءة والدراسة للفكرة في خدمة الحزب لتحقيق أوسع انتشار لها ، والدفاع عنها والاعتماد عليها كسلاح نضالي يجب ان يوضع في يد جميع الرفاق وجميع المواطنين .

لذلك فان دراسة الرفيق لفكر الحزب يجب ان تكون منذ البدء قائمة ليس فقط على استيعاب النص بل على القدرة على نقل فهمه الى الآخرين . اي القدرة على شرح الفكرة وتبسيطها وغرسها في أذهان وفي نفوس الآخرين .

فلا بد ان يتساءل المناضل وهو يطالع فكر الحزب : الى اي حد استطاع ان يهضم هذا الفكر وأن يبلغ في فهمه له الحد الذي يستطيع معه ان يكون معلما او مبشرا او كاتبا اي ان يكون فاعلا يغني نضال الحزب ويضيف الى الامكانات التثقيفية فيه عوامل دعم ورفد وقوة متزايدة .

ان الدراسة الموجهة لفكر الحزب تتطلب مستوى عاليا من الجدية ومن المسؤولية ومن الصدق ومن الامانة والحرص على الدقة الكاملة في القراءة وفي ايصال الافكار الى الآخرين .

وهكذا يتبين ان الدراسة المنهجية لفكر الحزب هي الطريق العلمية التي تضع بين أيدي المناضلين ما يحتاجون اليه من ثقافة ثورية ، بدونها يبقى العمل الثوري تخبطا وارتجالا وحقولا للتجارب والاخطاء ، وبها تضمن المسيرة الثورية لنفسها الصعود الدائم والتصحيح المستمر والاستيعاب الكلي لحركة التاريخ ولقوانين الصراع والاستشراف البعيد للمستقبل والنجاح الاكيد في تحقيق الاهداف الثورية .

(عام ١٩٧٢)